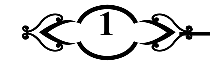
د. عبد الحليم هنداوى

اللؤلؤ المنثور فى سيرة سيدى الرسول (ﷺ)

بحث

صدرت الطبعة الأولى فى ديسمبر 2018



بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : اللؤلؤ المنثور فى سيرة سيدى الرسول (ﷺ)
المؤلِّف : د. عبد الحليم هنداوى
التصنيف : بحث
رقم الإيداع : 5094 - 2018
عدد الصفحات : 214 صفحة
رقم الإصدار الداخلى : 245 طبعة أولى فى ديسمبر2018
تصميم الغلاف والإخراج : دار النيل والفرات للنشر والتوزيع



على سبيل التقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (105)

هو كتاب يسير ومُبسط يتناول سيرة وحياة سيدى وسيد الخلق أجمعين النبى المرسل محمد بن عبد الله عليه وعلى آل بيته الطيبين وصحبه الكرام أزكى السلام وأفضل التسليم وقد اختار مؤلفه الدكتورالباحث عبد الحليم هنداوى(اللؤلؤ المنثور فى سيرة سيدى الرسول ﷺاسما وعنوانا له ليضاف إلى قائمة الكتب القيّمة التى ترصد حياة المصطفىﷺللكبار والصغار بداية من مولده ، حتى وفاته ، ومرورا بجهاده فى نشر الدعوة على المستويين المحلى والعالمى ، وغزواته ضد المشركين ، ومواقفه ، وأحاديثه ، حتى أتم الله نوره على الخلق أجمعين ، وأشهد على نفسه اللهُ والمسلمون جميعا أنه بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، وكشف الله به الغمة

وقد استند المؤلف إلى النبعين الصافيين القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة فى أسانيده للإستشهاد بوقائع السيرة

وهو كتاب تشرف المكتبات باقتنائه وتدريسه لبساطته فى السرد والعرض وما كان من توفيق فمن الله وحده وما كان من خطأ فمن أنفسنا نسأل الله العلى القدير أن ينفعنا وإياكم به وصالح الأعمال

ناجى عبد المنعم

مولد النبي عليه الصلاة والسلام

لم يشهد مولد إنسان علي وجه البسيطة من إرهاصات مثلما شهد مولد الرسول محمد فقد رأت أمه السيدة آمنه بنت وهب وكأن نورا خرج منها أضاءت له قصور الشام وسقطت شرفات إيوان كسري وخمدت نار المجوس وانهدمت الكنائس حول بحيرة ساوة كل هذا حدث يوم مولده عليه الصلاة والسلام يوم الإثنين التاسع من ربيع الأول عام الفيل ٥٧١ ميلادية يوافق تقريبا يوم٢٠ أبريل

ولما ولدته أمه أرسلت لجده عبد المطلب مبشرة إياه فأخذه ودخل به الكعبه ودعا الله وشكره وسمَّاه محمدا وختنه يوم سابعه وأول من أرضعته بعد أمه ثويبة مولاة أبي لهب بلبن ابنها مسروح وأرضعت قبله حمزه بن عبد المطلب وبعده أبا سلمة المخزومي وكانت عادة العرب أن يلتمسوا مرضعا من البوادي حتي يبتعد الطفل عن الأمراض ويشب قويا فتيا

ويُتقن اللغة العربية الرصينة وكانت السيدة حليمة السعدية من بني سعد بالطائف بثقيف

خرجت صوب مكه في سنة جدبة لا زرع فيها

ومعها أتان أى (حمارة أنثي ضعيفة) وناقة لا حليب فيها لكبر سنها وعندما وصلت مكه كانت المرضعات يتهافتن علي أطفال الأغنياء وكن لا يقبلن بمحمد لأنه يتيم ويقولون لن تدفع أمه أو جده وعندما نفد أولاد الأغنياء ولم أجد شيئا عند عودتي صعب علي أن أرجع بلا

طفل فقلت والله لأخذ هذا اليتيم فقال لي زوجي خذيه عسي أن يكون به بركه تقول فأخذته ولم يكن بي حليب يكفي ولدي وعندما ألقمته ثديي فاض الحليب ورضع حتي ارتوي ورضع ولدي وناقتي الشارف أى المُسِنه نزل بها الحليب الكثير فشربنا وعلمنا أن به بركه وأتاني القمراء الضعيفه دبت بها الحياة حتي أنها سبقت بالعوده جميع الدواب مع النساء الذين مشوا قبلي فتعجبن من قوة الدابة الضعيفة وعندما وصلنا ديار بني سعد نما العشب وكانت غنمي ترجع مليئة البطون حافلة الضرع فكانت رعيان بني سعد تتبع أغنامي بالجبال طلبا للمرعي فقد كان محمد عليه الصلاة والسلام بركة لبني سعد وحليمة وأخوة الرسول عليه الصلاة والسلام من الرضاعه هم عبدالله وانيسه وجذامة أو الشيماء أبناء الحارث بن عبد العزي زوج حليمة وأبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله عليه الصلاة والسلام وأيضا حمزه بن عبد المطلب

تقول فجلس عندنا سنتان حتي أتم رضاعته وحان موعد رجوعه لأمه وحملناه إلي مكة لكن من تعلقي به قلت لأمه اتركيه معنا حتي لا يصيبه وباء مكة فخافت عليه أمه وتركته يرجع معنا

وبعد عودته بأشهر وهو يلعب مع الأطفال جاءه جبريل فأنامه وشق صدره وأخرج منه نطفه وقال هذا حظ الشيطان منك ثم أعاد صدره ورتقه مرة اخري فخاف الصبيان وجروا

وقالوا قتل محمد وجاءهم ممتقع اللون فخافت عليه حليمة وأرجعته إلي أمه فجلس مع أمه حتي سن ست سنوات

ورأت السيدة آمنه أن تزور زوجها المتوفي بيثرب فسافرت مع أم أيمن وجده عبد المطلب إلي يثرب وبطريق العودة مرضت وماتت

ودفنت بمكان يسمي الأبواء قبل مكة بقليل وعاد مع جده وقابلته أم أيمن إلي مكه وكان جده يحبه حبا شديدا فكانوا يضربون لجده فراشا حول الكعبة لا يجلس عليه إلا هو إجلالا وكان محمد طفلا صغيرا فكان يجلس عليه فيأخذه أعمامه فينهرهم ويقول اتركوه ويحضنه ويقول إن له لشأنا ثم مات جده عبد المطلب ووكل أمره إلي عمه أبي طالب

نفذ عمه أبو طالب وصية عبد المطلب واحتضن ابن أخيه محمد عليه الصلاة والسلام وضمه إلي أبناءه معتبره واحدا منهم وظل يكافح وينافح عنه أكثر من أربعين عاما وعندما كان يحل القحط والجفاف بمكة كانوا يتوجهون إلي أبي طالب كي يستسقي لهم فكان أبو طالب يأخذ الرسول عليه الصلاة والسلام وهو صبي غلام ويلصق ظهره بالكعبة ويرفع إصبعه للسماء فيأتي السحاب من ها هنا وها هنا فينفجر الوادي بالمطر وفيه يقول

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه

ثمال اليتامي عصمة للأرامل

ولما بلغ الرسول إثني عشرة سنة رحل به عمه أبو طالب في رحلة الشتاء إلى اليمن ، والصيف إلي الشام وإلى مدينة بصري بالشام خرج إليهم راهب يسمي بحيرى وأخذ بيد الرسول عليه الصلاة والسلام وقال هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له عمه وشيوخ قريش ومن أعلمك بذلك ؟! قال بحيرى: إنكم حين اقتربتم منا لم يبق حجر ولا شجر إلا خرَّ ساجدا ، ولا يسجدان إلا لنبي ونعرفه بخاتم النبوة أسفل كتفه مثل التفاحة وسأل أبي طالب أن يرجع به إلي مكة خوفا عليه من الروم واليهود

ولما بلغ عشرون عاما حضر حرب الفجار التي كانت بين قبائل قيس عيلان وقريش ومعهم كنانه وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يجهز النبال لأعمامه وسُميت حرب الفجار لحدوثها بالشهر الحرام وبعد عداوة دامت سنوات تم الصلح

وعلي أثر هذه الحرب تم عمل حلف الفضول في ذي القعده تداعت إليه قبائل من قريش في بيت عبد الله بن جدعان وتعاهدوا أنهم لا يجدوا مظلوما بمكة أو غيرها إلا وقفوا معه حتي يردوا عليه حقه

وقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لقد شهدت بدار عبد الله بن جدعان حلفانا أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعي به في الإسلام لأجبت

ولم يكن له صلي الله عليه وسلم عمل معين في شبابه سوي أنه كان يرعي غنما علي قراريط من قريش وحين شب كان يعمل بالتجارة مع السائب بن أبي السائب المخزومي ، وفي الخامسة والعشرين من عمره دعته السيدة خديجة أن يتاجر معها وكانت تعطيه ضعف ما يأخذه باقي الرجال لأمانته

ولما رجع بتجارتها من الشام ووجدت ربحا وفيرا وحكي لها غلامها ميسرة عن حسن خلقه وشهامته أرسلت إليه صديقتها نفيسة بنت منبه لتخطبها إليه فرضي وكلم أعمامه فوافقوا وذهبوا معه لخطبة السيدة خديحة

وتم الزواج وانجبت من الرسول عليه الصلاة والسلام القاسم ، عبدالله ، زينب ، رقيه ، أم كلثوم ، والسيدة فاطمة. وكلهم توفاهم الله بحياته إلا السيدة فاطمة لحقت به بعد ستة أشهر

وقبل بعثته بخمس سنوات جاء سيل جارف فهدم الكعبة فقامت قبائل قريش ببنائها ولكنهم اختلفوا حول من يضع الحجر الأسود واخذت كل قبيله علي عاتقها شرف وضع الحجر الاسود مكانه واختلفوا ووضعوا يدهم بالدماء إيذانا بالحرب لكن أبا أمية بن المغيرة المخزومي اقترح عليهم أن يرضوا بحكم أول من يدخل عليهم من باب الصفا ومن حظهم الرائع أول من دخل كان الصادق الأمين فلما رأوه استبشروا خيرا فقال أعطوني ثوب وحمل الحجر الأسود بيده الشريفة ووضعه بوسط الثوب ودعا شيوخ القبائل وجعل كل واحد منهم يمسك بطرف الثوب وعندما اقتربوا من الكعبة حمل الحجر بيده الشريفة ووضعه مكانه وانهي بأبي هو وأمي حربا كانت يمكن أن تشتعل أشبه بحرب الفجار

وأصبحت الكعبة بعد البناء كالتالي أشبه بمربع ارتفاعه ١٥ مترا وطول الضلع الذي به الحجر الأسود والمقابل له ١٠مترا وطول الضلع الذي فيه الباب والضلع المقابل له ١٢ مترا والحجر موضوع بارتفاع ١.٥ مترا من أرضية الحرم

كان الرسول عليه الصلاة والسلام في نشأته الأولي وطفولته مثالا للأخلاق الرفيعة والشمائل الكريمة وكان محبوبا لدي الجميع وكان يسمي بالصادق الأمين وكان مصدرا للخير والبركه بقريش ففي وجوده انتهت حرب الفجار وعمرها مئات السنوات وأيضا تأسس أفضل حلف عرفته البشرية لبعده عن النعرة العصبية ومناصرته للحق المطلق حلف الفضول وكذا وأد معركة بمهدها وهي معركة الحجر الأسود وحقا فيه قوله تعالي (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) صلي الله عليه وسلم .

في غار حراء

ما من نبى أرسله الله إلا ألهمهُ أن يقرأ كتاب الكون فتدبر آيات الله بالكون تؤدي لمعرفة الله ولما بلغ سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم سن الأربعين وهو سن الرجولة والنضوج والتأمل حبب الله إليه الخلاء بغار حراء فكان يأخذ معه الماء والتمر ويتعبد بالغار الذي يبعد عن مكة حوالي ثلاثة كيلو متر أو يزيد بجبل يسمي جبل النور وهو موجود للآن يصعده الحجاج والمعتمرون

وظل يتأمل ويتعبد بهذا الغار ثلاث سنوات وكان يقضي فيه شهر رمضان كاملا

ولما اكتمل سنه أربعون عاما بدأت إرهاصات النبوة تلوح له منها أن حجرا بمكة كان يسلم عليه كلما مر عليه وكان يري الرؤيا فتتحقق كفلق الصبح وفي آخر رمضان من السنة الثالثة من عزلته بالغار نزل عليه جبريل وذلك يوم الاثنين ٢١ رمضان ليلا سنة ٦١٠ ميلادية شهر أغسطس وكان عمره أربعين سنة وستة اشهر و١٢ يوما

وقال له جبريل إقرأ فيقول: ما أنا بقارئ فيقول إقرأ فيقول: ما أنا بقارئ فيقول الرسول عليه الصلاة والسلام فأخذني فغطني حتي بلغ مني الجهد وقال إقرأ فاقول: ما أنا بقارئ

فأخذني فغطني الثالثة وقال (بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾) .. سورة العلق

فرجع يرجف ويقول للسيدة خديجة زملوني زملوني ، دثروني دثروني ، فغطته السيدة خديجة وصبرت حتي ذهب عنه الروع وقالت : مابك ؟! فقال لها : لقد خشيت علي نفسي ، فقالت :

والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتُقري الضيف

وتعين علي نوائب الحق ، وانطلقت خديجة مسرعة لابن عمها ورقه بن نوفل فقال ورقه بعد أن سمع من رسول الله عليه الصلاة والسلام هذا الناموس الذي نزل علي موسي يا ليتني حينها جذعا - أى شابا وحيا - إذ يخرجك قومك فقال أومخرجي هم ؟! قال نعم لم يأتي رجل قط مثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم توفي ورقة ، وفتر الوحي ، وقد بقي رسول الله عليه الصلاة والسلام بفترة فتور الوحي مكتئبا حزينا ، وكان انقطاع الوحي أياما ليذهب عنه ما وجده من روع

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نظرت عن يميني فلم أر شيئا ، ونظرت عن يساري فلم أر شيئا ، ونظرت أمامي فلم أر شيئا ، ونظرت فوقي فرأيت شيئا فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالسا علي كرسي بين السماء والأرض فجأشت منه رعبا حتي هويت إلي الأرض فأتيت خديجة فقلت: زملوني ، دثروني ، ونزل قوله تعالي (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1)قُمْ

فَأَنْذِرْ (2) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (5))
إلي آخر سورة المدثر ، وكأن الله يقول له : قم واترك الفراش الوثير والراحه فقد وُكِّلت بأمر عظيم فيه من التعب والمعاناه الكثير وهو دعوة الناس وهدايتهم وإخراجهم من ظلمات الجهل لنور العلم واليقين هذا ديدن أصحاب الرسالات يتعرضون للتعب والمعاناة مع السفهاء

إبلاغ الرسالة ودعوة الناس إليها

الدعوة السرية والرعيل الأول

الدعوة السرية ليست منهج حياه لكن فرضتها ظروف قريش الدينية والإجتماعية فقد كان مجتمعا جاهليا بمعني الكلمة وكان يري أنه صاحب الدين والتشريع للناس بحكم وجود بيت الله بين ظهرانيهم

وكان يري أنه من يخرج علي دين الآباء والأجداد يجب أن يجابه بالسيف ولذلك قرر الرسول عليه الصلاة والسلام أن يبدأ الدعوة إلي الله سرا ، وأن يبدأ بمن يثق بهم فبدأ بأهل بيته السيدة خديجة وكانت أول من آمن به ومولاه زيد بن حارثة وسيدنا علي بن ابي طالب وسيدنا أبو بكر الصديق ثم نشط سيدنا أبو بكر وكان محبوبا مألوفا بين الناس فأسلم علي يديه سيدنا عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله فكانوا هؤلاء هم الرعيل الأول والسابقون للإسلام ثم تلي هؤلاء أبو عبيدة عامر بن الجراح وسعيد بن زيد وعثمان بن مظعون وأبو سلمه وأم سلمه وجعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وخالد بن سعيد وأخوه عمرو وامرأته أمينة بنت خلف وعبد الله بن مسعود وأم أيمن قابلة النبي عليه الصلاة والسلام وأسماء بنت أبي بكر وأم الفضل لبابة الكبري زوجة العباس والعدد وصل لحوالي مائة وثلاثون ما بين رجل وامرأه وأول ما نزل من التكليف هي الصلاة وكانوا يؤدونها سرا خوفا من بطش الكفار من قريش وظلت الدعوة علي هذا الحال سرا ثلاث سنوات وبعد ذلك نزل أمر من الله لرسوله أن يجهر بالدعوة وقال سبحانه : " وانذر عشيرتك الأقربين " .. سورة الشعراء ، ثم

دعا رسول الله عليه الصلاة والسلام أهله وأبناء عمومته وأقاربه وكانوا نحو خمس وأربعون رجلا ثم قال لهم الحمد لله أحمده وأستعينه واؤمن به واتوكل عليه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إن الرائد لا يكذب أهله والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلي الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون وإنها الجنة أبدا ، أو النار ابدا ، فقال أبو طالب عمه: ما أحب إلينا معاونتك ، وأقبلنا لنصيحتك ، وأشد تصديقا لحديثك ، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وإنما أنا أحدهم غير أني أسرعهم لما تحب فامض لما أمرت به فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك غير أن نفسي لا تطاوعني علي فراق دين عبد المطلب فقال أبو لهب: هذه والله السوأة ، خذوا علي يديه قبل أن يأخذ غيركم ، وبعد أن تأكد رسول الله عليه الصلاة والسلام من منعة عمه له وحمايته صعد جبل الصفا ووقف علي أعلاها حجرا ونادي بأعلي صوته يا صباحاه - وهذه كلمه تنذر بحرب أو هجوم - ثم أخذ ينادي يا بني فهر ، يا بني عدي، يا بني عبد مناف ، يا بني عبد المطلب ، ثم أخذوا يتجمعون ويتساءلون ما الخبر ؟! فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغار عليكم أكنتم مصدقي ؟! قالوا ما جربنا عليك كذبا قط ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأي عدوا فانطلق يربأ أهله فخشي أن يسبقوه فجعل ينادي يا صباحاه وجعل ينادي يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا ، يا بني كعب بن لؤي إنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا بني مره بن كعب انقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضرا ولا نفعا ، يا بني عبد شمس ، يا بني هاشم ، يا معشر بني عبد مناف ، يا صفيه ، يا معشر بني عبد المطلب ، يا عباس ، إلي أن وصل يا فاطمه بنت محمد سليني ما شئت من مالي إنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك ضرا ولا نفعا وإني لا أغني

عنك من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلاها أي سأصلها حسب ما لها من حق ، وهنا انفض الناس وقام عمه أبو لهب وقال: تبا لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟! فنزل قوله تعالي " تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۢ٥

وقد أقبل الكثير علي دعوته ودخل الناس في دين الله أفواجا لكن هذا لم يعجب قريش فأخذوا يكيدون للمسلمين .

كيد كفار قريش للدعوة الجديدة

لم تعرف الرسالات في التاريخ عداء ومجابهة مثلما عرفه الإسلام ـ كدعوه للتوحيد ـ فقد تفنن كفار قريش في النيل من الإسلام والمسلمين فأخذوا يشككون في الرسول عليه الصلاة والسلام مره بقولهم ساحر ، وأخري شاعر ، وأخري مجنون ، لكن تأييد الله له بالقرآن الذي كان ينزل حيا جعل كل هذا الإفتراء يذهب أدراج الرياح فلما اجتمعوا بالوليد بن المغيرة وكان ـ يقرض الشعر- قالوا: ما تقول في محمد ؟! قال: قولوا ، قالوا :نقول مجنون ، قال: لا رأينا الجنون ونعرفه، قالوا:شاعر ، قال: ما هو بشاعر فنحن نعرف الشعر، قالوا: ساحر ، قال: ولا ساحر نحن نعرف السحار ما هو منهم ، قالوا: فما تقول ؟! قال: والله إن لقوله لحلاوه ، وإن عليه لطلاوه ، وإن أصله عذب ، وإن فرعه لجناه وإن أقرب الأقوال أن تقولوا: ساحر سحرنا وفرق بيننا وابنائنا ، وأخذ يفكر إلي ان اهتدي لذلك فنزل قوله تعالي " إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18)فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19)ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20)ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22)ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سورة المدثر

وبعدما اتفقوا علي ذلك أخذوا يتتبعون الحجاج ويحذروهم من أنه مجنون أما رسول الله عليه الصلاة والسلام أخذ يتتبع الناس بمنازلهم وفي عكاظ ومجنه وذي المجاز يدعوهم للدين الجديد وخلفه عمه أبو لهب يقول لا تطيعوه إنه كذاب وأخذوا يسخرون من الرسول

عليه الصلاة والسلام ومن اتباعه لكن كان الله دائما يعضده بالقرآن لما اشتدت السخريه من كفار قريش نزل قوله تعالي " إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (95)الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (96)وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (97)فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98)وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (99) **سورة الحجر**

ثم بدأوا يثيروا الشبهات حول الدعوة الجديدة ويكثفوا من الدعايات الكاذبه أي حرب إعلامية شعواء فيقولون علي القرآن أضغاث أحلام يراها في الليل ويتلوها في النهار وإنما يعلمه بشر أو هو شاعر فينزل قوله تعالي وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ (69 الآية .... وكانوا يشككون في التوحيد والبعث كيف نبعث بعد أن نكون عظاما نخره ؟! وكيف يبعث الله بشرا رسولا ؟! يجب أن يكون ملك ثم يقولون لولا نزل علي رجل من القريتين عظيم فيرد عليهم الله سبحانه بقوله تعالي : " أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)الزخرف ثم قوله تعالي " وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (124) الأنعام:124 **ولما رأوا معجزة القرآن وبيانه وأنه مقنع لكل ذي عقل يعي قرروا أن يحولوا بين الناس وبين سماع القرآن فنزل قوله تعالي " وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (26) سورة فصلت**

ولعل أشهر من كان يصرف الناس عن سماع القرآن هو النضر بن الحارث كانت عنده مغنية فكلما رأي أحد يسمع قرآنا من رسول الله صلي الله عليه وسلم يأخذه معه لمغنيته ويقول لها أطعميه واسقيه وغنيه فنزل قوله تعالي " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (6) سورة لقمان

وبعد عدة أشهر من فشلهم في الحرب الإعلامية والنفسية قرروا أن يتجهوا للتعذيب الجسدي فأخذ كل صنديد يعذب من دان من عبيده وإمائه بالإسلام وكان أبو جهل إذا رأي مسلما ذا منعة توعده بالخسارة بماله وجاهه ، وإن كان ضعيفا عذبه وكان عم عثمان بن عفان يلفه في حصير من ورق النخيل ويدخن تحته حتي يرده عن دينه ، وكان صهيب الرومي يعذب إلي أن يفقد وعيه وأشهر المعذبين كان بلال بن رباح مولي أمية بن خلف الجمحي فكان يضع بعنقه حبلا ثم يسلمه للصبيان يطوفون به في جبال مكه ويجرونه وهو يقول أحد أحد وكان يضربه بالعصا ويجبره علي الجلوس في القيظ ويمنعه الطعام والشراب وإذا اشتدت حرارة الشمس بالظهيرة كان يلقيه علي ظهره ويلقي عليه الصخرة العظيمة ويقول واللات والعزي لتبقي كذلك حتي تموت أو تكفر بمحمد فيقول بلال أحد أحد فمر عليه سيدنا أبو بكر واشتراه منه واعتقه وكان عمار بن ياسر قد أسلم هو وأبوه وأمه وكانوا موالي عند بني مخزوم فكان المشركون وعلي رأسهم أبو جهل يجرونهم إلي الرمضاء في عز القيظ ويعذبوهم بشده فكان يمر عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ويقول لهم صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة فمات ياسر من العذاب وطعن أبو جهل سميه بمكان عفتها فماتت وكانا أول شهيد وشهيده بالإسلام وكانت زنيره أمه رومية أسلمت فعذبت وذهب بصرها فقالوا لها أصابتك اللات والعزي فقالت لا

والله ما أصابتني وهذا من الله وإن شاء كشفه فأصبحت من الغد وقد رد الله بصرها فقالوا هذا سحر محمد أما موقفهم من رسول الله عليه الصلاة والسلام فمختلفا ، أولا لان الرسول عليه الصلاة والسلام كان ذا شخصية مهابة تتعاظمه نفوس الأعداء والأصدقاء سواء

وكان أيضا في جوار ومنعة عمه أبو طالب لذلك قرروا أن يذهبوا لعمه أبو طالب وقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وسفه أحلامنا وعاب ديننا وضلل آبائنا فإما أن تخلي بيننا وبينه أو تكفه عنا فقال لهم قولا رقيقا وانصرفوا ثم بعد فتره جاءوا أبا طالب لكن بشكل أكثر حدة وبه تهديد ووعيد فاستدعي أبو طالب بن أخيه وقال له يا بن أخي إبق علىَّ وعلي نفسك ولا تحملني من الأمر مالا أطيق فقال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري علي أن أترك هذا الأمر ما تركته حتي يظهره الله أو أموت دونه ثم استعبر وبكي وقام فلما ولي ناداه عمه وقال اذهب يا بن أخي فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشئ أبدا ثم أنشد يقول والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتي أوسد في التراب دفينا فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا

اعتداءات علي شخص رسول الله صلي الله عليه وسلم

لما يئست قريش من أن أبو طالب لن يستطع رد بن أخيه عن الدعوة وأنه مانعه بدت تتجه للإعتداء الجسدي علي رسول الله صلي الله عليه وسلم والبداية كانت من اقرب الناس عمه أبو لهب وهذا مما أثر أكثر في نفسية الحبيب فهو عمه وجاره والمفروض أن يكون مصدر حمايه وجاه لا تكذيب وتعذيب فبدأ بالعذاب النفسي عندما مات عبدالله بن محمد عليه الصلاة والسلام أخذ يقول محمد أبتر أي لا عقب له ، وكان لا يرتضي بالكلام فقط بل أجبر ولديه عتبة وعتيبة علي تطليق ابنتي محمد رقية وأم كلثوم حتي أن الرسول عليه الصلاة والسلام دعا علي إبنه عتبه بعد أن طلق ابنته وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وفعلا عندما كان بالشام انتقاه أسد من بين الجمع وفصل رأسه عن جسده ، وهذه هي أم جميل أو أروي بنت حرب بن أميه أخت أبو سفيان بن حرب كانت تضع له بطريقه أحمال من الأشواك فنزل قوله تعالي: " تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2)سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3)وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4)فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5) " .. فلما سمعت بنزول سورة المسد استشاطت غضبا وذهبت للنبي تقول شعرا مذمما عصينا وأمره أبينا ، ودينه قلينا ، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول تتكلم عن مذمما وليس عني ، وكان قبه بن أبي معيط يأخذ سلي الجذور ويضعه علي رأسه الشريفه وهو يصلي عند الكعبة فتسارع السيده فاطمه وتزيله وتدعو عليهم وعندما ازدادوا في السخرية منه دعا عليهم وحددهم وقال اللهم عليك بقريش ثلاث ثم قال اللهم عليك بعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن

أبي معيط وفي غزوة بدر ماتوا جميعا بقليب بدر وكان أمية بن خلف إذا رأي الرسول عليه الصلاة والسلام يهمز ويغمز بعينه ويسخر منه فنزل قوله تعالي : "ويل لكل همزة لمزة (1)الذي جمع مالا وعدده (2)يحسب أن ماله أخلده (3)كلا لينبذن في الحطمة (4)وما أدراك ما الحطمة (5)نار الله الموقدة (6)التي تطلع على الأفئدة (7)إنها عليهم مؤصدة (8) في عمد ممددة (9) " وكان الأخنس بن شريق الثقفي ممن ينال من الرسول فنزل قوله تعالي " ولا تطع كل حلاف مهين" سورة القلم

وهذا أبو جهل يأتي فيسمع القرآن ثم يذهب فلا يؤمن ويسخر فنزل قوله تعالي : "فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (31) " سورة القيامه

وعندما أراد أن ينزل الأذي برسول الله عليه الصلاة والسلام ذهب إليه وقال لو رأيته لأطأن عنقه فلما أتي الحبيب أخذ يرجع للخلف ويتقي بيديه فقال له الناس مالك يا أبا الحكم فقال إن بيني وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحه فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام والله لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا

هذه صورة بسيطة ومصغرة جدا لما لاقاه الحبيب شخصيا من معاناة ولكن الله مانعه ومع شدة الموقف خاصة علي ضعفاء المسلمين اتخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم قرارين الأول أن تكون العبادة والتجمع بدار الأرقم بن أبي الأرقم بعيدا عن أعين سفهاء قريش ، الثاني الهجرة

دار الأرقم والهجرة إلي الحبشة

عندما اشتد أذي قريش للمسلمين كان من الحكمه ألا يتعبدوا الله أمام أعين المشركين خاصة الضعفاء الذين لا منعة ولا جاه لهم ، فاختار لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم دار الأرقم بن أبي الأرقم وكانت بأصل جبل الصفا ، وكانوا يتجمعون بها سرا للعباده وتدارس كتاب الله فيما بينهم وعندما اشتد أذي قريش في السنة الخامسة من البعثه أخذ المسلمون يفكرون بطريقه تنقذهم من أذي قريش فنزل قوله تعالي : "قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10) " سورة الزمر

وهنا كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يعرف ملك صالح بالحبشه اسمه أصحمه النجاشي ملك الحبشه فأمر المسلمين بالهجره للحبشه فرارا بدينهم وفي رجب سنة ٥ من البعثه هاجر أول فوج من الصحابه إلي الحبشه وكان مكونا من اثني عشرة رجلا وأربعة نسوه يترأسهم عثمان بن أبي عفان وزوجته رقيه ابنة خير البريه محمد عليه الصلاة والسلام

وأقام المسلمون في الحبشه بأحسن جوار وفي رمضان من نفس العام باغت الرسول عليه الصلاة والسلام المشركين عند الحرم بقراءة سورة النجم : " وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1)مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2)وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (5) **" الي ان وصل الي "** فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا (62)" **فسجدوا دون أن يدروا فلما قاموا من سجودهم استكبروا وقالوا كنا نسجد لآلهتنا ، فانتشر الخبر أن قريشا أسلمت ، وانتقل الخبر إلي مسلمي الحبشة ، فرجعوا ولكنهم واجهوا تعذيبا أشد فكانت الهجرة**

الثانية للحبشة لكنها كانت بعدد أكبر ٨٣ رجلا وتسعة عشرة امرأه وعز علي قريش أن يجد المسلمون مكانا آمنا فأرسلوا إلي النجاشي رجلين هما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهم هدايا ودهاء عمرو فقدما الهدايا لملك الحبشه وقال عمرو أيها الملك إنه ضوي إلي بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك أشراف قريش لتردهم إليهم فهم أعلم بهم فقالت البطارقه صدقا أيها الملك ردهم اليهم لكن لأنه ملك عادل رأي ان يسمع منهم فارسل اليهم فدخل عليه الوفد وعلي رأسهم جعفر بن ابي طالب فقال ايها الملك كنا قوما اهل جاهليه نعبد الأصنام ونأكل الميته ونأتي الفوحش ونقطع الأرحام ونسئ الجوار ويأكل منا القوي الضعيف كنا علي ذلك حتي بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وامانته وعفافه فدعانا الي الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد من حجاره وامرنا بصدق الحديث واداء الامانه وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور واكل مال اليتيم وقذف المحصنات وامرنا ان نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاه والزكاه والصيام فصدقناه وامنا به واتبعناه علي ما جاء به من دين الله فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا لعبادة الاوثان وان نستحل ما كنا نستحل من خبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الي بلادك وأخترناك علي من سواك ورغبنا بجوارك ورجونا الا نظلم عندك ايها الملك فقال النجاشي هل معك مما جاء به من الله من شئ فقرأ عليه سورة مريم فبكي الملك وبكت حاشيته حتي اخضلت لحاهم وقال النجاشي إن هذا والذي جاء به عيسي ليخرج من مشكاة واحده انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكما فلم يسكت عمرو وهداه دهائه أن يقول للملك إنهم يقولون في مريم وابنها

قولا عظيما فأرسل إليهم الملك وسألهم عن قولهم في عيسي وأمه فقال هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلي مريم فأخذ النجاشي عودا من الأرض وقال والله ما عدا عيسي بن مريم ما قلت هذا العود وقال لهم: اذهبوا فأنتم ضيوف بأرضي من سبكم غرم وكررها ثلاثا ورد علي عمرو هدايا كفار قريش وعاش المسلمون في أمان يتعبدون الله في كنف الملك الصالح النجاشي

المقاطعه والحصار بشِـعْب أبى طالب

جن جنون قريش بعد إسلام حمزه وعمر وعزة المسلمين في تعبدهم ودعوتهم جهارا نهارا وأمام أعينهم ويأسهم من رجوع الرسول صلي الله عليه وسلم عن دعوته قيد أنملة ، فقرروا في شئ أشد آلاما علي المسلمين وهو سلاح المقاطعة والحصار ، وهو أشبه بما يفعله مجلس الأمن في عصرنا من حصار لأي دوله من وجهة نظرهم مارقه مثل ما حدث مع العراق فقد اجتمع القوم بخيف بني كنانه بوادي المحصب فتحالفوا علي بني هاشم وبني عبد المطلب ألا يناكحوهم أو يبايعوهم ولا يجالسوهم ولا يخالطوهم ولا يكلموهم ولا يدخلوا بيوتهم حتي يسلموا رسول الله صلي الله عليه وسلم وكتبها علي الأصح بغيض بن عامر بن هاشم فدعا عليه الرسول فشلت يده واشتد الحصار علي المسلمين وقريش تشتري أى مواد غذائيه تدخل مكه حتي لا تصل لأيدي المسلمين حتي أكلوا أوراق الشجر وجلود الحيوانات وكانوا يسمعون من خلف السور صياح أطفال المسلمين من الجوع فلا ترق له قلوبهم التي هي أقسي من الحجارة أو أشد قسوة وكانوا يقتاتون من الأشياء التي تأتيهم سرا من المتعاطفين معهم ذوي القلوب الرحيمة وكانوا لا يشترون حاجياتهم إلا بالأشهر الحرم من العير التي تأتي من خارج مكه أما أهل مكه قساة القلوب كانوا يضاعفون لهم سعر السلع فلا يستطيعوا شراءها وكان حكيم بن خزام يرسل لعمته خديجة حاجياتها وقد تعرض له أبوجهل فمنعه البحتري كما أسلفنا ورغم ذلك كانوا يخرجون بمواسم الحج والعمره ومعهم الرسول عليه الصلاة والسلام لدعوة الناس للإسلام

مرت ثلاثة أعوام علي هذا الحال وقد أضناهم الجوع والحاجه وهاجمهم المرض وفي المحرم سنة عشرة من النبوة تم نقض

الصحيفة الظالمة وكان الداعي لذلك هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي وكان يصل بني هاشم بالطعام مستخفيا بليل ، وذهب إلي زهير بن أبي أمية المخزومي وقال له : يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام ، وتشرب الشراب واخوالك يموتون جوعا وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال زهير: ويحك ماذا أفعل بمفردي لو كان معي رجل آخر لقمت بنقدها فقال له أنا معك فقال: قم وابغينا نفرا ثالثا فذهب إلي المطعم بن عدي فذكره أرحام بني هاشم وبني عبد المطلب ولامه أنه وافق علي هذه المقاطعه الظالمه فقال ويحك ماذا أفعل وأنا رجل واحد فقال: وجدت آخر قال: من هو ؟! قال: أنا وزهير قال ابغنا رابعا فذهب إلي أبى البختري وذكر له نفس كلام أصحابه فقال: ابغنا خامسا قال فذهبت إلي زمعه بن الأسود بن عبد المطلب بن أسد فذكرت له ذلك فقال: وهل معنا من أحد ؟! فذكرت له فقال: هيا بنا وتجمعوا عند الحجون وقال زهير أنا أبدأكم بالكلام فلما كان الصباح ذهبوا للكعبة وطاف زهير بها ثم قال: يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبني هاشم هلكي ، لا يباع ، ولا يبتاع منهم ؟! والله لا أقعد حتي تشق هذه الصحيفة الظالمة قال أبو جهل: كذبت والله لا تشق فقال زمعة بن الأسود: أنت والله الأكذب ما رضينا بكتابتها إذ تكتب قال البختري: صدق زمعه .. ما رضينا بما فيها قال المطعم بن عدي صدقتما وقد كذب من قال غير ذلك وقال هشام بن عمر نحو ذلك فقال القبيح أبو جهل: هذا أمر قضي بليل هنا ظهر أبو طالب وتوجه نحوهم وقال أعلمني بن أخي ـ يقصد رسول الله صلي الله عليه وسلم ـ أن الله أرسل الأرضة فأكلت الصحيفة وأبقت فقط (باسمك اللهم) فأتوا بها من داخل الكعبة فإن كان صادقا خلوا بينه وبين دعوته وإن كان غير ذلك افعلوا ما بدا لكم فقالوا قد أنصفت يا أبا طالب فقام المطعم بن عدي وأتي بها فإذا بالأرضة أكلتها إلا (باسمك اللهم) ثم تم نقض الصحيفة وانتهي الحصار الظالم

عام الحزن

بعد نقض الصحيفة وزوال الحصار صار حال المسلمين أفضل لكن ليس بالمطلق ، فلا تزال قريش علي غيها وعنادها والتضييق علي المسلمين ، وهذا أبو طالب عم النبي صلي الله عليه وسلم شيخ دنف حاصره المرض نتيجه لسنه الطاعن ـ ثمانون عاما ـ وما لبث أن وافته المنية عام عشر من النبوة شهر رجب بعد الخروج من الحصار بستة أشهر ولما حضرته المنية جاءه الرسول عليه الصلاة والسلام وقال له: ياعم قل لا إله إلا الله كلمه احاج لك بها عند الله لكن أبو جهل وعبد الله بن أمية قالا له: يا أبا طالب أتترك دين آبائك وترغب عن ملة عبد المطلب ؟! فقال بل ملة عبد المطلب فقال الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: لأستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فنزل قوله تعالي "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (113) سورة التوبة

فترك النبي الإستغفار له وقال العباس للنبي عليه الصلاة والسلام: ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال هو في ضحضاح من النار ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار- رواه البخاري

وتأبي المصائب إلا أن تأتي تباعا فبعد وفاة عم النبي عليه الصلاة والسلام بحوالي شهرين أو ثلاثة علي الأكثر توفيت السيدة خديجه لذلك أطلق عليه عام الحزن توفيت في شهر رمضان من السنة العاشرة للبعثة وعمر الرسول عليه الصلاة والسلام حينها خمسون عاما ، وما أدراك ما خديجه ، ومكانتها في قلب رسول الله عليه

الصلاة والسلام ، فقال عنها : آمنت بي حين كفر بي الناس وصدقتني حين كذبتي الناس وأشركتني في مالها حين حرمني الناس ورزقني الله ولدها وحرم ولد غيرها وقال له جبريل يا رسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها إناء به إدام أو طعام أو شراب فإن أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب فقالت أقرأ جبريل السلام وعلي ربنا السلام فإنه هو السلام ومنه السلام وتجرأت قريش أكثر بعد موت أبى طالب حتي أن أحدهم نثر التراب علي وجه رسول الله عليه الصلاة والسلام وكانت السيدة فاطمة تزيله عنه وتبكي وكان يقول لها لا تبكي بنية ، فإن الله مانع أباك وبعد ذلك تزوج بالسيدة سودة مع السيدة عائشة بعام واحد ورغم هذا العناء مع كفار قريش إلا أن الله سبحانه كان يربط علي قلوبهم بالقرأن وتنزل الآيات للتثبيت والبشارة وإن كل هذا العناء سيزول وسينتصر الإسلام وسيمكن بذل ذليل أو عز عزيز منها قوله تعالي" يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (21) التوبه

وقوله تعالي:" وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (174) الصافات

وهذه كلها آيات بنصر الله وغلبة وعلو المسلمين ، رغم ما واجهوه وما يواجهوه من آلام وكان الرسول الكريم ليس بعيدا بسنته عن هذه البشارات فقال عليه الصلاة والسلام يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم فإذا متم كنتم ملوكا بالجنة جاء به بن سعد في طبقاته

وقال أيضا عليه الصلاة والسلام لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط من حديد ما دون عظامه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله هذا الأمر حتي يسير الراكب من صنعاء إلي حضرموت ما يخاف إلا الله والذئب علي غنمه ولكنكم تستعجلون رواه البخاري

وهكذا ظل تنزيل الله يطمئن المسلمين ويبشرهم بالنصر ويثبتهم وظل رسول الله بأحاديثه وسنته عليه الصلاة والسلام يرفع روحهم المعنوية ويثبتهم في هذه المرحلة العصيبة والخطيرة

الدعوه لله خارج مكة

لأن الاسلام عالمي التوجه لم يكتف رسول الله صلي الله عليه وسلم بالدعوة بمكة بل أخذ يفكر كيف يصدح بهذه الدعوة خارج مكة لذلك توجه إلي الطائف ومعه مولاه زيد بن حارثة فلما وصل الطائف تواصل مع ثلاثة من الإخوة من كبار ثقيف وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي فجلس معهم ودعاهم للإسلام فقال أحدهم أما وجد الله غيرك وقال الآخر لا أكلمك أبدا إن كنت رسولا لأنت أعظم خطرا من أن أرد عليك وإن كنت تكذب علي الله ما ينبغي أن أكلمك فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم أما وإن فعلتم ذلك فاكتموا عني وأقام عليه الصلاة والسلام بالطائف عشرة أيام لا يدعو أحدا من أهل الطائف إلا رفض وقالوا له أخرج من بلادنا وسلطوا عليه صبيانهم ليقذفوه بالحجارة حتي أدموا قدميه الشريفتين

فلجأ لحائط لعتبة وشيبة إبني ربيعة والتجأ ودعا الدعاء المشهور " اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني علي الناس يا ارحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلي من تكلني؟ إلي بعيد يتجهمني أم إلي عدو ملكته أمري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل علي سخطك ، لك العتبي حتي ترضي ولا حول ولا قوة إلا بك فلما رآه ولدي عتبة أشفقا عليه لصلة الرحم وأرسلا صبيا لهما يدعي عداسا بقطف من عنب فلما وضعه بين يدي رسول الله عليه الصلاة والسلام مد يده وقال باسم الله فقال عداس إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام من أي البلاد أنت ؟! وما دينك ؟! قال من نينوي نصراني قال عليه الصلاة والسلام من بلد

الرجل الصالح يونس بن متي ، قال: وما ادراك بيونس بن متي ؟! قال عليه الصلاة والسلام: هو نبي وأنا نبي ، فانكب عداس علي قدميه يقبلهما ، ورجع رسول الله عليه الصلاة والسلام من الطائف مكسور القلب مدمي القدمين كئيبا حزينا فلما بلغ مكان يسمي قرن المنازل بعث الله له جبريل ومعه ملك الجبال يقول له لو أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين - أي الجبلين - لفعلت فقال المرسل رحمة للعالمين : بل أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله عز وجل لا يشرك به شيئا وفي الطريق صرف الله إليه نفرا من الجن يستمعون لكتاب الله الذي نزل علي رسوله وآمنوا به فكان هذا نصرة لرسول الله عليه الصلاة والسلام ورفعا لروحه المعنوية

ثم عندما كان علي مشارف مكة كلم الأخنس بن شريق أن يجيره فلم يجره ، فبعث إلي المطعم بن عدي فقال المطعم نعم وتسلح وسلح أبنائه وقومه وقال لهم: كونوا عند البيت فقد أجرت محمدا ثم دعي الرسول عليه الصلاة والسلام وقال له: ادخل فدخل وقام ونادي يا معشر قريش إني قد أجرت محمدا فلا يهجه أحد منكم، فدخل الرسول وطاف البيت وصلي ركعتين ثم انصرف لبيته ومطعم واولاده محدقون به بالسلاح

وشكر رسول الله صلي الله عليه وسلم لمطعم هذا الصنيع ونكمل في القادم إن شاء الله.

عرض الإسلام علي القبائل

في أواخر السنة العاشره من الهجرة وبعد عودة الرسول عليه الصلاة والسلام من رحلة الطائف بدأ يعرض الإسلام علي القبائل والأفراد في موسم الحج ومعظم القبائل لم تستحب له منها

بنو عامر بن صعصعة ومحارب بن خصفة وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نصر وبنو البكاء وكندة وكلب والحارث ابن كعب وعذرة والحضارمة ولم يستجب أحد فبدأ عليه الصلاة والسلام أن يدعوا الأفراد خاصة من يتوسم فيهم خيرا وقد آمن به عدة رجال منهم سويد بن الصامت كان شاعرا رقيقا لبيبا

جاء مكة حاجا أو معتمرا فدعاه الرسول للإسلام فقال له: لعل الذي معك كالذي معي فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام : وما الذي معك ؟! قال حكمة لقمان فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام ؟! كلام لقمان حسن وعرض عليه آيات من القرآن فلما سمعه سويد قال إن هذا لقول حسن ، فأسلم ورجع إلي المدينه وقتل في واقعه بين الأوس والخزرج

الثاني هو إياس بن معاذ كان غلاما صغيرا أتي مع قومه وفد من الأوس فعرض عليهم رسول الله عليه الصلاة والسلام الإسلام فرفضوا وقال إياس: أى يا قوم ، والله إن هذا خير مما جئتم به فأخذ رفيقه حيسر حفنة من تراب فرماها بوجهه وقال له: ما جئنا لهذا وبعد رجوعه المدينة مالبث إياس أن مات وهو يهلل ويكبر

الرجل الثالث هو الصحابي طفيل بن عمرو الدوسي كان شريفا شاعرا لبيبا سيد دوس

قدم مكه من اليمن فاستقبلته قريش استقبال الأسياد وقالوا له: لا تقابل هذا الرجل ـ أي محمد عليه الصلاة والسلام ـ ولا تسمع له فقوله به سحر فرق بيننا وبين أولادنا وإنا نخشي عليك فلا تكلمه ، ولا تسمع له

ويقول طفيل لقد أثر في كلامهم فقمت بحشو أذني كرسفا حتي لا أسمع ، يقول فدونت منه حتي أسمعني الله بعض الآيات فأعجبتني ثم تتبعته حتي وصلت داره وكلمته فعرض علي الإسلام وتلا عليَّ القرآن فأسلمت وشهدت الشهادتين وقلت له يا رسول الله إني مطاع بقومي فاجعلي آية حتي اعرض عليهم الإسلام

يقول فجعل الله نورا بوجهي كلما دعوت أحدا فأسلم معه ثمانون بيتا من قومه ومات شهيدا بمعركة اليمامة

والخامس ضماد الأزدي كان من أزد باليمن وكان يعالج بالرقية فلما قالوا محمد مجنون قلت أذهب إليه وأعالجه فقلت له: فقال رسول

الله صلي الله عليه وسلم : إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله

فقال له: أعد علي ما قلت فأعادها الرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثا فقال : لقد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، هات يدك أبايعك علي الإسلام فبايعه

وفي السنة الحادية عشرة من البعثة أسلم ستة نفر من أهل المدينة وكان إسلامهم فاتحة خير هم أسعد بن زرارة عوف بن الحارث رافع بن مالك قطبة بن عامر عقبة بن عامر وجابر بن عبد الله

الإسراء والمعراج

بينما الدعوة إلي الله تشق طريقها بين قبول ورفض من الناس إذ يمن الله علي نبيه محمد صلي الله عليه وسلم برحلة فيها من المعجزات

ما يجعل الكافر يؤمن لكن الإيمان نعمه من الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء

وفي الأرجح إن هذه الرحلة حدثت ليلة السابع والعشرون من رجب بالعام العاشر من البعثة

وأسري رسول الله بجسده علي الصحيح من المسجد الحرام بمكة إلي المسجد الأقصي راكبا البراق وهو دابه أقل من الحصان وأكبر من البغل وكان بصحبته جبريل عليه السلام فنزل هناك وربط البراق بأحد حلق المسجد الأقصي عند قبة الصخرة ثم صلي عليه الصلاة والسلام بالأنبياء إماما

ثم عرج الي السماء الدنيا فاستفتح له جبريل ففتح له فرأي آدم أبا البشر فسلم عليه وأقر بنبوته وأراه الله أرواح الأتقياء عن يمينه وأرواح الأشقياء عن يساره

ثم عرج إلي الثانيه فاستفتح ففتح له فوجد يحيي وعيسي بن مريم فلقيهما وسلم عليهما وأقرا بنبوته ، وفي الثالثة وجد يوسف فسلم عليه وأقر بنبوته ، ثم بالرابعة وجد إدريس سلم عليه وأقر بنبوته ، ثم بالخامسة وجد هارون بن عمران فسلم عليه وأقر بنبوته ، ثم السادسه وجد فيها سيدنا موسي فسلم عليه وأقر بنبوته ، فلما

جاوزها بكي موسي قيل ما يبكيك قال: أبكي لأن غلاما بعث من بعدي يدخل من أمته الجنه أكثر مما يدخلها من أمتي ثم وصل إلي السماء السابعه فلقي أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام فسلم عليه وأقر بنبوته ، ثم رفع لسدرة المنتهي وحده دون جبريل ، فدور جبريل انتهي عند السماء السابعه فإذا نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيله ثم غشيها فراش من ذهب ونور وأنوار وما أحد من خلق الله يستطيع أن يصفها لحسنها ثم رفع له البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون ، ثم أدخل الجنه فإذا حصبائها لؤلؤ ، وترابها مسك وزعفران ، وسمع صرير الأقلام ثم دنا من الله سبحانه فأوحي لعبده ما أوحي ، وفرضت الصلاة وكانت خمسون فمر بسيدنا موسي فقال له إذهب واسأل ربك التخفيف فإن أمتك لا تطيق فطلب من الله التخفيف حتي صارت خمس صلوات عمل وخمسون بالأجر

وقد حدثت بهذه الرحلة أمورا عدة : منها أنه عرض عليه صلي الله عليه وسلم الخمر واللبن فاختار اللبن فقيل له أصبت الفطرة ولو اخترت الخمر لضلت أمتك ، ورأي أربعة انهار يخرجن من السدرة إثنان ظاهران هما النيل والفرات، واثنان باطنان بالجنه فلا تقلقوا أحبتي علي النيل سيظل يجري إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها ورأي مالك خازن النار لا يضحك أبدا ، ورأى أكلة أموال اليتامي وهم يأكلون أحجارا من النار بأفواههم ، ورأي أكلة الربا والزناه وهم يعذبون ، ورأي عيرا من قريش وقد دلهم علي بعير شرب من مائهم ليلا وهم لا يعلمون ثم ترك الإناء مغطي وأخبرهم عن بعير مكسور كان معهم ورغم ذلك لم يزدهم إلا نفورا لإن الهدي من الله ورفع له الله بيت المقدس قبالة بيت الأرقم فوصف لهم كل مكان به حتي قالوا والله ما زاد عن ما علمناه ولا نقص

ومن صدقه هو الصديق أبو بكر وقال : والله إنا لنصدقه في أعظم من ذلك

والإسراء والمعراج هي آية من آيات الله وتسرية لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام وكانت بالجسد والروح كما أخبرنا القرأن الكريم

بيعة العقبة الأولى

لأن الله عز وجل يريد لدعوة الإسلام التمكن والنجاح فقد وفق الستة الذين أسلموا علي يد رسول الله صلي الله عليه وسلم في السنة ١١ من البعثة ان اسلم علي يديهم سبعة أخرون وأتوا مكة بحج عام ١٢ من البعثة وهم معاذ بن الحارث ، ذكوان بن عبد القيس ، عباده بن الصامت ، يزيد بن ثعلبه ، العباس بن عباده ، أبو الهيثم بن التيهان ، عويم بن ساعده .

بجانب الستة باستثناء جابر بن عبد الله قد تخلف عنهم كلهم من الأوس والخزرج التقي هؤلاء النفر برسول الله عليه الصلاة والسلام وبايعوه مع بيعة النساء بمني ، فقد روي البخاري عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: تعالوا بايعوني علي ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولاتأتوا ببهتان تفترينه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفي منكم فأجره علي الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة ، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فأمره إلي الله إن شاء عاقبة ، وإن شاء عفا عنه ، قال: فبايعناه علي ذلك رواه البخاري

وبعد أن تمت المبايعة اختار رسول الله صلي الله عليه وسلم أول سفير للإسلام بالمدينة المنورة ، وكان مصعب بن عمير العبدري ليدعوا الناس للإسلام ويعلمهم الدين الصحيح

نزل مصعب بن عمير علي أخيه في الإسلام أسعد بن زراره وكان مصعب قارئا جيدا للقرآن فدخل علي حائط لبني عبد الأشهل وجلس علي بئر ماء يقال له بئر مرق والتف حوله رجال من المسلمين وسعد

بن معاذ وأسيد بن حضير سيدا قومهما لا يزالا علي الشرق فقال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير اذهب لهذين الرجلين وزجرهما فذهب أسيد وبيده حربه فلما رأه اسعد بن زراره قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه فجأه اسيد وقال ما جاء بكما إلي هنا تسفهون أحلامنا أخرجا من هنا إن كانت لكما بنفسيكما حاجة فقال له مصعب أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمرا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكره فقال انصفت ثم جلس يستمع لأي من القرآن فأشرق وجهه وقال ما أحسن هذا واجمله كيف تصنعون إن أردتم الدخول بهذا الدين فقالا له: تغتسل وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فقام وأغتسل وتشهد وصلي ركعتين ثم قال: ورائي رجل سيد قومه أن أسلم لن يتخلف أحد من قومه عن الإسلام

فذهب إليهم سعد بن معاذ بنفس هيئة أسيد بن حضير ودار ذات الحوار وأسلم معه بني عبد الأشهل جميعا إلا رجل واحد اسمه الأصيرم الذي أسلم يوم أحد واستشهد يومها فقال عنه النبي عليه الصلاة والسلام عمل قليلا وأجرا كثيرا وقبل حلول موسم الحج عاد السفير مصعب بن عمير للرسول عليه الصلاة والسلام بمكة ليحمل معه بشري إسلام الكثير

بيعة العقبة الثانية

لم تشهد البشريه تحالفات بين أقوام بينهم مسافات جغرافية بعيدة بلا أهداف إقتصادية أو أخري دنيوية لكنها لوجه الله ولوجه الخير والحق والجمال مثلما شهدت بيعة العقبة الثانية التي كانت بين مسلمي المدينة من الأوس والخزرج وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم

ففي موسم الحج من السنة الثالثة عشرة من البعثه ٦٢٢ ميلادية حضر لأداء مناسك الحج من مسلمي أهل يثرب أكثر من سبعون رجلا وامرأتان وكانوا يتساءلون فيما بينهم حتي متي نترك الرسول مطارد بجبال مكة ويتعرض لأذي المشركين؟

فلما وصلوا مكة جرت بينهم وبين الرسول اتصالات سرية أفضت إلي أن يلتقوا سرا تحت جنح الظلام عند العقبة الأولي أواسط أيام التشريق الثلاثة في الشعب هناك

ويقول كعب بن مالك الأنصاري واعدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم أن نلتقي بأوسط أيام التشريق عند العقبه ليلا وكان معنا عبد الله بن حرام أبو جابر وكنا نكتم أمرنا فقلنا له يا أبا جابر إنك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وأنا لا نتمني لك أن تكون حطبا للنار غدا ثم دعوناه للاسلام فاسلم وحضر معنا بيعة العقبة وكان هو النقيب

قال كعب فنمنا تلك الليلة في رحالنا حتي إذا مضي ثلث الليل أخذنا نتسلل تسلل القطا لمقابلة رسول الله عليه الصلاة والسلام وكنا ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان نسيبه بنت كعب أم عماره من بني مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو أم منيع من بني سلمه

فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله عليه الصلاة والسلام فهل علينا ومعه عمه العباس وهو لا يزال علي دين قومه وكان أول متكلم فقال: يا معشر الأوس والخزرج

إن محمدا منا كما علمتم وقد منعناه من قومنا فهو في عز ومنعه ببلده وبين قومه

وإنه قد أبي إلا الإنحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم مانعوه ووافون له فأنتم وما تحملتم من ذلك وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه فمن الآن فدعوه فإنه في عز ومنعه من قومه وبلده

قال كعب فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت سيرة بن هشام

فتكلم الرسول عليه الصلاة والسلام وقال جابر يا رسول الله علام نبايعك قال علي السمع والطاعه في النشاط والكسل وعلي النفقة في العسر واليسر وعلي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلي ان تقوموا في الله لا تأخذكم في الله لومة لائم وعلي أن تنصروني إذا قدمت إليكم وتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة رواه احمد والبيهقي وصححه الحاكم وابن حبان

فأخذ البراء بن معرور بيده الشريفة ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمع أزرنا منه أى أولادنا وذرارينا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثناها كابر عن كابر

قال فاعترض القول والبراء يتكلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله أن بيننا وبين الرجال حبالا وإنا قاطعوها يقصد اليهود فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع لقومك وتدعنا؟

قال فتبسم رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم سيرة ابن هشام

وقام العباس بن عباده بن نضله وهو من الرعيل الأول وقال هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم ، قال: إنكم تبايعونه علي حرب الأسود والأحمر من الناس فإن أصابت أموالكم مصيبة وإشرافكم قتلت أسلمتموه فمن الآن والله إن فعلتم فهو خزي الدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه علي نهكة الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة

قالوا إنا نأخذه علي مصيبة الأموال وقتل الأشراف فقالوا فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا قال الجنة قالوا إبسط يدك فبسط يده فبايعوه سيرة ابن هشام

وبعد إقرار بنود البيعة بدأ عقد البيعة بالمصافحة علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ووعد بالجنة إما بيعة نسيبه بنت كعب وأسماء بنت عمرو كانت قولا وما صافح رسول الله صلي الله عليه وسلم امرأه أجنبية قط ، واختاروا منهم لرسول الله صلي الله عليه وسلم أثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس نقباء الخزرج أسعد بن زرارة ، سعد بن الربيع ، عبد الله بن رواحه ، رافع بن مالك ، البراء بن معرور ، عبد الله بن عمرو ، عباده بن الصامت ، سعد بن عباده ، المنذر بن عمرو .. نقباء الأوس أسيد بن حضير، سعد بن خيثمه ، ورفاعه بن عبد المنذر بن زبير ولما تم اختيارهم أخذ عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ميثاقا آخر بصفتهم رؤساء مسؤلين وقال لهم أنتم علي قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسي بن مريم ، وأنا كفيل علي قومي يعني المسلمين قالوا: نعم"سيرة بن هشام"

وهنا اكتشف بعض الشياطين المعاهده وقام علي رأس هضبة رابية وقال بأعلي صوته يا أهل الجباجب ـ أى المنازل ـ هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا علي حربكم وكان بعد إبرام المعاهدة

وعندما تأكد الخبر عند قريش اعترضوا واحتجوا وأخذوا في مطاردة المبايعين لكن سلموا جميعا ورجعوا ليثرب ليبدأ مشوار جديد للدعوه بيثرب

بدايات الهجرة إلى يثرب

لعل من أهم نتائج بنود بيعة العقبة الثانية هو حصول المسلمين علي مكان آمن يهاجرون إليه هربا من بطش مشركي مكة فقد أخذوا الإذن من رسول الله صلي الله عليه وسلم بالهجرة للمدينة

وأول المهاجرين كان أبو سلمه هاجر قبل العقبة الكبري بسنة وزوجته وابنه فخرج عليه أصهاره وقالوا له لقد غلبتنا علي الهجرة لكن مالك وزوجتك وابنك وأخذوا منه أم سلمه زوجته وابنه سلمة فجاء أهل أبو سلمة ونزعوا الغلام من أصهاره حتي خلعت يده وظلت أم سلمه عاما كاملا تبكي وتخرج للجبل حتي تتبع أخبار زوجها فرق لها أحد أقاربها وقال ألا ترجعوا لهذه المسكينة ابنها وتتركوها تذهب لزوجها ففعلوا واخذت ابنها وتوجهت ليثرب وحدها بولدها فرأها عثمان بن طلحه وكان لا يزال علي الشرك فاصطحبها حتي أتي قباء وتركها وقال لها الحقي بزوجك بهذه البلده

وأيضا هاجر صهيب الرومي فلما أراد أن يخرج قالوا له أتيتنا صعلوكا فتاجرت وكثر مالك عندنا ثم تريد أن تخرج بنفسك ومالك لن يكون هذا أبدا فقال لهم هل لو تركت لكم مالي تتركوني قالوا نعم قال جعلت لكم مالي فبلغ ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام ربح صهيب ربح صهيب سيرة ابن هشام

وتواعد سيدنا عمر بن الخطاب وعياش بن ربيعه وهشام بن العاص بن وائل عند مكان يسمي سرف خارج مكة فتقابل عمر وعياش وحبس هشام

ولما قدما المدينة ونزلا بقباء قدم أبو جهل وأخوه الحارث إلي عياش وكانت أمهم واحدة أسماء بنت مخربة فقالا له : إن أمك نذرت ألا يمس رأسها مشط ولا تستظل بشمس حتي تراك فرق لها فقال له عمر: أري أنهم يريدون فتنتك فوالله أمك لو هاجمها القمل لامتشطت ولو ضربها هجير مكة لاستظلت فأبي عياش إلا الخروج ليبر بقسم أمه قال عمر: إذن خذ ناقتي فهي قوية وإن رأيت من القوم خيانة فاهرب بها فركبها وخرج معهما وبالطريق قال له أبو جهل يا ابن أمي قد استغلظت بعيري أعقبني معك علي ناقتك فلما أناخ الناقه هجما عليه ووثقاه بالحبال ثم دخلا به مكة نهارا موثقا وقالا لأهل مكه: هكذا افعلوا بسفهائكم

سيرة بن هشام

وروي البخاري عن عائشة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: إني أريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين – أى - حرتان (والحره مكان غير ممهد به أحجار كثيرة صماء) فهاجر من هاجر إلي المدينه ثم أراد أبو بكر الهجرة فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم علي رسلك فإني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال: نعم فحبس أبوبكر نفسه ليصحب رسول الله صلي الله عليه وسلم وأخذ يعلف راحلتين منتظرا الإذن والصحبة "صحيح البخاري باب الهجرة"

اجتماع قريش للقضاء علي صاحب الدعوة

جن جنون قريش لما رأوا المسلمون يهاجرون بأموالهم وأولادهم إلي المدينة حيث قبائل الأوس والخزرج الذين تعهدوا بحمايتهم والزود عنهم بمجرد وصولهم المدينة وذلك بعد بيعة العقبة الثانية ولا نستطيع أن نهمل أهم جانب بالنسبة لهم وهو الجانب الإقتصادي فموقع المدينة استراتيجي بالنسبة لهم حيث أنه ممر لتجارتهم التي تقدر بربع مليون دينار ذهب سنويا من وإلى الشام

لذلك عقدوا اجتماعهم في ٢٦ صفر سنة ١٤ من النبوة بدار الندوة ليناقشوا كل السبل للقضاء علي هذه الدعوة وعلي صاحبها محمد عليه الصلاة والسلام وكانت أبرز هذه الوجوه أبوجهل بن هشام عن قبيلة بني مخزوم جبير بن مطعم طعيمة بن عدي الحارث بن عامر عن بني نوفل بن عبد مناف شيبة وعتيبه ابنا ربيعة أبو سفيان بن حرب عن بني عبد شمس بن مناف النضر بن الحارث عن بني عبد الدار أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام عن بني أسد بن عبد العزي نبيه ومنبه ابنا الحجاج عن بني سهم أمية بن خلف عن بني جمح ولما جاءوا دار الندوة اعترضهم إبليس علي شكل شيخ جليل فلما رأوه قالوا من الرجل قال شيخ من نجد سمع ما تواعدتم عليه وعسي ألا يعدمكم منه رأيا ونصحا فقالوا أجل أجل ودخل معهم فبدأ النقاش بأبى الأسود وقال نخرجه من بلادنا وننفيه ولا نبالي أين ذهب فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه والله إن فعلتم ذلك لجمع عليكم

العرب ووطئ أعناقكم ، دبروا رأيا آخر قال أبو البختري: احبسوه بالحديد واغلقوا عليه الباب حتي يصيبه الموت فقال الشيخ النجدي والله ما هذا برأي لإن حبستموه سوف يتكاثر عليكم أتباعه ويخلصوه منكم أنظروا رأيا آخر، ثم تقدم كبير مجرمي مكة أبوجهل بن هشام برأي وافق عليه الجميع بما فيهم الشيطان نفسه فقال أري أن نأخذ من كل قبيله شابا جلدا وسيطا قويا شجاعا ثم نعطي كل فتي منهم سيفا صارما ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه بين القبائل ولا يستطيع بنو عبد مناف علي الأخذ بثأره فقال الشيخ النجدي هذا هو الرأي ولا أرى غيره ووافق الجميع علي هذا الرأى ورجعوا لبيوتهم ليدبروا تنفيذه بينما قريش تدبر للقضاء علي رسول الله صلي الله عليه وسلم نزل جبريل علي الرسول عليه الصلاة والسلام وأخبره بتدبير قريش وإن الله أذن له بالخروج وقال لا تبت هذه الليله علي فراشك

وذهب رسول الله عليه الصلاة والسلام بالظهيرة متقنعا لأبي بكر في ساعة لم يكن يأتيه فيها فقال أبو بكر والله ما جاء به في هذه الساعة إلا لأمر فجاءه فاستأذن فأذن له فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام أخرج من عندك فقال إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال : فإني قد أذن لي بالخروج فقال ابوبكر: الصحبه بأبي أنت وأمي فقال: نعم (صحيح البخاري باب الهجره)

ثم أبرم معه خطة الهجرة ورجع بيته منتظرا مجئ الليل واستمر بعمله المعتاد حتي لا يشعر أحد من قريش بشئ أكابر مجرمي قريش فقد جمعوا إحدي عشر رئيسا ليطوقوا بيت النبي عليه الصلاة والسلام وهم أبو جهل بن هشام ، الحكم بن ابي العاص ، عقبه بن ابي معيط ، النضر بن الحارث ، اميه بن خلف ، زمعه بن الأسود ، طعيمه بن عدي ، أبولهب ، أبي بن خلف ، نبيه بن الحجاج ، واخوه منبه ،

وكان من عادة النبي عليه الصلاة والسلام أن ينام بعد صلاة العشاء فأمر علي بن أبي طالب أن ينام مكانه ويتسجي ببردته الحضرمية الخضراء وأخبره أن لن يصيبه مكروه بإذن الله فلما كانت عتمة الليل تسلل الإحدي عشر مشركا إلي بيت النبي عليه الصلاة والسلام وهم يظنونه نائما وفي منتصف الليل وقت خروجه كانوا متأهبين للإنقضاض عليه وفي هذه الأثناء خرج الرسول عليه الصلاة والسلام من البيت واخترق صفوفهم حاملا بيده حفنة تراب يذرها علي رؤسهم ويتلو قوله تعالي " وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) " يس

ومضي إلي بيت أبي بكر فخرجا من خوخه ببيت أبي بكر ليلا وتوجها لغار ثور في اتجاه اليمن وبقي المشركين محاصرين البيت إلي أن مر بهم رجل فقال لهم: ما تنتظرون قالوا محمدا قال خسئتم وخسرتم لقد خرج من بينكم وحثا علي وجوهكم التراب ثم نظروا من فتحه بالباب فرأوا أحدا نائما فانقضوا عليه فوجدوا سيدنا علي بن أبي طالب فسألوه فقال لا أدري

أحداث وقعت بطريق الهجرة

هناك أحداث وقعت ، بل معجزات بطريق هجرة المصطفي صلي الله عليه وسلم من مكة للمدينة فبعد أن سري الرسول صلي الله عليه وسلم ليلا يقول أبو بكر: " برواية البخاري" ومن الظهيرة لليوم التالي والطريق خال من الماره رفعت لنا صخرة طويلة لها ظل لم تأت عليها الشمس فنزلت تحتها وسويت مكان للنبي ينام عليه وبسطت له فروة وقلت: نم يا نبي الله وسوف أنفض لك ما حولك فرأيت غلاما يرعي الغنم فسألته عن صاحبها فقال غنم لرجل من قريش فقلت له هل عندك غنم تحلب قال نعم يقول فحلبت شاه وانتظرت النبي حتي استيقظ فشرب وقال هل آن الرحيل قلت نعم فرحلنا وباليوم الثاني أو الثالث مرا بخيمة أم معبد الخزاعية بمكان يسمي المشلل من ناحية قديد ١٣٠ كيلومترا من مكة

وكانت بخبائها تسقي وتطعم من يمر بها فسألاها هل عندك شئ يحلب؟! قالت: إنها سنة شهباء، لا زرع ولا ضرع يحلب ، فنظر النبي علي الصلاة والسلام فوجد شاه عجفاء فقال اعطني إياها فقالت: ما بها حليب خذها ، فأخذها ومسح عليه الصلاة والسلام ضرعها بيده الشريفة فدرت الحليب ، وشرب الرسول عليه الصلاة والسلام ومعه أبو بكر ، وشرب كل من مر بأم معبد بهذا اليوم ، وشربت أم معبد وارتوي الجميع وملأ الإناء ثانية وغادرها وارتحلوا

ومالبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجفاء فلما رأي الحليب تعجب وقال من أين لكِ هذا ؟! فحكت له عن المصطفي عليه

الصلاة والسلام وعن بركته فقال والله هذا صاحب قريش التي تطلبه ولقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت لذلك سبيلا ، ثم استيقظت مكه علي صوت الجن يردد

جَزَى اللّهُ رَبّ الْعَرْشِ خَيْرَ جَزَائِه ... رَفِيقَيْنِ حَـــلّا خَيْمـتَيْ أُمّ مَعـبْدِ

هُمَا نـزَلَا بِالْبِـرّ وَارْتَحـَلَا بِـــه ... وَأَفـلَح مَـنْ أَمْسَى رَفِيـقَ مُـحَمّدِ

فَيَالَقـُصـيّ مَا زَوَى اللّهُ عَـنْـكُـمْ ... بِهِ مِنْ فَعــَالٍ لَا يُجَازَى وَسُودَدِ

لِيَهْنَ بَنِي كَعــبٍ مَكَــانَ فَتَاتِهِمْ ... وَمَــقْعدُهَـا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمــرْصـدِ

سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَـــاتِهَا وَإِنَائِهَا ... فَإِنّكُمْ إنْ تَسْـأَلُوا الشـّاءَ تَشْــهَدِ

وقالت أسماء ما علمنا أن الرسول صلي الله عليه وسلم وصاحبه توجها للمدينة إلا بعد أن أنشد رجل من الجن هذه الأبيات نسمع صوته ولا نراه جاء ذلك بزاد المعاد واخرجه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي ورواه البغوي بشرح السنة

ثم اتبعهما سراقة بن مالك يقول لنا سمعت من القوم بمكانهم جهزت فرس لي قوية وأخذت سهمي ودنوت منهم وأبوبكر يلتفت والرسول يمضي بطريقه لا يلتفت وفي هذه الأثناء ساخت قدما فرسي بالرمل حتي بلغتا الركبتين ثم زجرتها فنهضت وطلبت الأمان ودنوت منهم وتيقنت أن الله حافظهم وإن هذا الأمر سيظهر وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يسألاني إلا أن قالا إخف عنا فلما رجع سراقة وسألوه القوم قال لهم قد كفيتكم هذه الجهة وأخذ يحرك سهما حتي ابتعدا

وبرواية أخري قال له الرسول عليه الصلاة والسلام إرجع يا سراقه ولك سواري كسري ، وفعلا أسلم وحصل عليهم بالفتوحات الإسلامية بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام

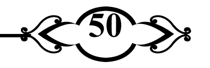
وفي الطريق لقي الرسول عليه الصلاة والسلام بريدة بن الحصيب ومعه ثمانون بيتا من قومه أسلموا جميعا وصلي بهم العشاء الأخيرة

علي مشارف المدينة المنورة

لقد ذكرنا آنفا بعض الأحداث التي مر بها رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو بطريق الهجرة من مكة للمدينة ، وفي يوم الاثنين ٨ من ربيع الأول سنة ١٤ من النبوة أو السنة الأولي من الهجرة الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية وصل رسول الله صلي الله عليه وسلم هو وصاحبه أبو بكر قباء وفي هذا اليوم بلغ عمره عليه الصلاة والسلام ٥٣ عاما

وكان أهل المدينة من المسلمين في هذه الأثناء يخرجون يوما الحرة ينتظرونه فيردهم حر الظهيرة (والحرة هي مكان صحراوي مكشوف كله حجارة صماء صغيرة لا زرع فيها ولا ماء) فلما رجعوا بيوتهم كان رجلا من اليهود يقف علي ربوة من بيوت اليهود فرأي رسول الله ومعه أبو بكر والبياض يكسوهم فصاح بأعلي صوته يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فسارع المسلمون لحمل السلاح خوفا علي رسول الله عليه الصلاة والسلام وتلقوا الرسول بظهر الحرة وسمع الناس التكبير والتهليل في بني عمرو بن عوف وكبر المسلمون معهم فرحين بقدوم الحبيب وكان لسان حالهم يقول وهذا شعري انا يا مرحبا بخير منتظر يا مرحبا بحبيب أغر انتظرنا قدومك أكثر من شهر وسوف ننتظر لنهاية العمر وتلقوه وحيوه بتحية النبوة مطيفين حوله والسكينة تغشاه ونزل عليه الوحي بقوله تعالي:
" إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4)

سورة التحريم الآية ٣ انظر زاد المعاد والبخاري وسيرة بن هشام



ونزل رسول الله عليه الصلاة والسلام في بني عمرو بن عوف يوم الإثنين من ربيع الأول فطفق من جاء من الأنصار يحيي رسول الله وهم لا يعرفونه ولما اشتد الحر أخذ سيدنا أبوبكر يظلل عليه فعرفه الناس (انظر صحيح البخاري) وكانت المدينة كلها قد زحفت لاستقباله ولم تر المدينة في تاريخها يوما مثله ونزل عليه الصلاة والسلام علي كلثوم بن الهدم بقباء وأقام بقباء أربع ليالي حتي الخميس وأسس مسجد قباء وصلي فيه وهو أول مسجد أسس في الإسلام وبقباء مسجد أبيض وضاء أول مسجد بناه أجدادي فلما كان يوم الجمعة ركب وردفه أبو بكر وأرسل لبني النجار أخواله فجاءوا متقلدين سيوفهم فسار نحو المدينة وهم حوله وأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فجمع بهم في مسجد ببطن الوادي وكانوا مائة رجل ثم سار بعد الصلاه مباشرة إلي المدينة وسميت يثرب وكان يوما أغر فقد تزينت البيوت وصدحت بنات الأنصار

طلع البـــدر علينـا   مـن ثنيـات الوداع

وجب الشكـــر علينـا   مـــا دعـــا لله داع

أيها المبعـــوث فينا   جئت بالأمر المطـاع

جئت شرفت المدينـة   مرحباً يـا خيـر داع

والأنصار رغم أنهم ليسو أصحاب ثروات طائلة إلا أن كل واحد منهم كان يتمني أن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام ضيفه وكان كل بيت يمر به الحبيب يخرج عليه أهله ويقولون هلم إلي العدد والعدة والسلاح والمنعة فكان يقول لهم دعوها أى الناقة فانها مأمورة ثم وصلت لمكان المسجد الحرام اليوم وبركت ثم قامت ثم رجعت لنفس الموضع وبركت ونزل الرسول عليه الصلاة والسلام بجوار منزل

أخواله وسارع أبو أيوب الأنصاري لرحلة فأخذه ولما أحاطت به الناس يريدونه ضيفهم قال المرء مع رحله وذهب لبيت أخواله بيت أبوأ الأنصاري وأخذ أسعد بن زرارة الراحلة عنده " أنظر سيرة بن هشام وزاد المعاد "

وبعد أيام وصلت زوجته سودة وابنتاه فاطمة وأم كلثوم وأم أيمن حاضنته وعلي بن أبي طالب وعائشة مع عبد الله بن أبي بكر وبقيت زينب مع زوجها العاص وهاجرت بعد غزوة بدر وتقول عائشة وصلنا المدينة وهي أرض وباء ، فمرض أبو بكر ومن شدة الحمي كان يقول كل امرئ مصبح في أهله والموت أدني من شراك نعله وأيضا سيدنا بلال كان يتمني مكة وانشد يقول ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي وحولي أذخر وجليل ؟! وهل أردن يوما مياه مجنه ؟! وهل يبدون لي شامه وطفيل ؟! قالت عائشه: فجئت رسول الله عليه الصلاة والسلام فأخبرته فقال اللهم العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا إلي أرض الوباء ثم أردف قائلا: اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك في صاعها ومدها وانقل حُماها فاجعلها في الجحفه .. "صحيح البخاري"

وقد استجاب الله لدعائه فأري بالمنام امرأه سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتي نزلت بالمهيعة - وهي الجحفة - وكان ذلك كناية عن نقل وباء المدينه للجحفه فاستراح المسلمون من الأوجاع وطاب لهم عيش المدينة ومن يسافر للمدينة الآن يلمس البركة في المأكل والمشرب والمسكن والهدوء والطمأنينة بالنفس وبهذا لمن يتابعني نكون سردنا بتوفيق من الله ومنته العهد المكي كاملا والله اسأل ان يوفقنا للتشرف بسرد العهد المدني والفتوحات والنصر الاسلامي العظيم وان كان هناك توفيق فمنه من الله وان ثم خطأ غير مقصود فتقصير مني والله أسأل المغفرة.

بداية العهد المدني
وبناء مجتمع جديد

بعد الهجرة وعند وصول الرسول صلي الله عليه وسلم المدينة أول شئ قام به كان بناء المسجد النبوي الحالي ومن خلال المسجد أخذ يدعو إلي أساسيات العقيدة ويعلم المسلمين إياها في بداية لبناء مجتمع جديد قائم علي الحق والخير والعدل والمساواه وأهل المدينة كانوا ثلاثة أصناف الأول المسلمون سواء كانوا مهاجرين أو أنصار من أهل المدينة والثاني المشركين الذين لم يؤمنوا بدعوة الإسلام والثالث اليهود الذين كانت بيدهم تجارة ومعظم أموال أهل المدينة وعندما بدأ الرسول ببناء المسجد كانت هناك بقايا لقبور اليهود بالمكان فأمر عليه الصلاة والسلام بإخراج ما تبقي من الأجداث ودفنه بعيدا من المسجد وكان طول المسجد مائة ذراع وباقي جوانبه مثل ذلك أو يقل قليلا وبنى بجانبه حجرات من الطوب اللبن وكان المسجد والحجرات مسقوفه بجريد النخيل والحجرات هي حجرات زوجاته بعد ذلك ، ثم انتقل من بيت أبي أيوب الأنصاري إليها وأيضا كان هناك موضع خلف الحجرات بالمسجد مخصص لفقراء المسلمين ومن ليس له مئوي يسمي بأهل الصفة ومن أشهر أهل الصفة أبي ذر الغفاري وفي أوائل الهجرة شرع الآذان وصيغته التي هي عليه الآن من رؤيا لسيدنا عمر وأول شئ بدأ به الرسول عليه الصلاة والسلام هو المؤاخاه بين المهاجرين والأنصار وكانوا تسعين رجلا نصفهم مهاجرين ونصفهم أنصار فأخذ يآخي بينهم حتي وصل الأمر أن يرث بعضهم بعضا إلي أن نزل قوله تعالي " وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا

وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُواْ الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75) الانفال ٧٥ الآية

فاقتصر الميراث علي الرحم فقط وكان المقصود من الإخاء أن تذوب كل الفوارق العصبية والقبلية والمالية ولا تبقي سوي رابطة الدين فقط في مجتمع مثالي لم يشهد التاريخ مثله

فمثلا آخي رسول الله صلي الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف المهاجر وبين الأنصاري سعد بن الربيع فكان يقول سعد لعبد الرحمن هذا مالي لك نصفه وعندي زوجتان أطلق إحداهن فتنتهي عدتها وتتزوجها ، فقال له عبد الرحمن بارك الله لك بمالك وزوجتيك لكن دلني علي السوق ، فنزل السوق وابتاع فيه حتي أغناه الله وتزوج وصار من أغنى أغنياء المدينة ، مجتمع كان أشبه بالملائكة "أنظر صحيح البخاري وزاد المعاد"

وهناك ميثاق وضعه رسول الله صلي الله عليه وسلم حقق لهم المحبه والمؤاخاه والمواساه فالعدل أساس الملك إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش علي حالهم يتعاقلون بينهم ويفدون عانيهم أى أسيرهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وكل قبيله من الأنصار علي حالهم يتعاقلون معاقلهم الأولي وكل طائفه منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط إن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أى مثقل بالدين والعيال أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل وإن المؤمنين المتقين علي من بغي منهم أو ابتغي ظلما أو إثما أو عدوانا أو فسادا بينهم ، وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم لا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولا ينصر كافرا علي مؤمن وأن ذمة الله واحده يجير عليهم أدناهم ومن تبعنا من يهود له النصر والاسوه غير مظلومين ولا متناصرين عليهم وسلم المؤمنين واحدة ، والمؤمنين

يكف ويمنع بعضهم علي بعض بما نال دمائهم في سبيل الله وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه علي مؤمن ، وأنه من قتل مؤمنا عن بينه يقتل به إلا أن يعفو ولي المقتول ، لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا ولا يؤويه ، ومهما اختلفتم فيه من شئ فإن مرده إلي الله ورسوله صلي الله عليه وسلم بهذه القواعد وهذه الحكمة أرسي الرسول عليه الصلاة والسلام مجتمعا قائما علي العدل والمساواه والمحبة ، وإليكم بعض هذه الأحاديث التي تعضد عري المحبه والتآخي بالمجتمع

سأله رجل أى الإسلام خير؟! قال: تطعم الطعام وتقرىء السلام علي من عرفت ومن لا تعرف "صحيح البخاري"

وقال لا يدخل الجنه من لا يأمن جاره بوائقه " رواه مسلم"

وقال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده "رواه البخاري"
وقال: لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه

"رواه البخاري"

وقال: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربه من كرب الدنيا فرج الله عليه كربه من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامه "متفق عليه"

وقال: اتقوا النار ولو بشق تمره فإن لم تجد فبكلمة طيبة

"رواه البخاري"

وقال: سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر " البخاري"

فهكذا رباهم الرسول عليه الصلاة والسلام علي الفضيلة والإيثار وحب الخير والحق فنتج عن ذلك مجتمعا مؤمنا مترابطا يحب بعضه بعضا لم يشهد التاريخ مثله قط لإنه بني علي معاني الحق والخير والمساواه بعد أن عانوا طويلا من مبادئ الشرك والعنصرية الجائرة فكان الإسلام لهم أشبه بطوق النجاه

المعاهدة مع يهود المدينة

ذكرنا آنفا أن اليهود كانوا أكبر مكون من مكونات المدينة عندما شرفها النبي عليه الصلاة والسلام ولأن الإسلام بطبيعته دعوة سلام ومحبة ولا يميل لسفك الدماء إلا إذا اعتدي علي المسلمين أبرم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام معاهدة مع يهود المدينة قرر لهم فيها النصح والخير وترك لهم مطلق الحرية في اعتناق الدين ولهم أموالهم ولم يتجه لسياسة الإبعاد أو المصادرة أو الخصام والمعاهده من إثنتي عشرة بندا:

١ اليهود أمه مع المؤمنين للمسلمين دينهم ولليهود دينهم

٢ علي اليهود نفقتهم وعلي المسلمين نفقتهم

٣ بينهم النصر علي من حارب هذه الصحيفة

٤ بينهم النصح والنصيحة والبر دون إثم

٥ وأنه لم يأثم إمرؤ بحليفه

٦ النصر للمظلوم هنا أو هنا

٧ اليهود يتفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين

٨ يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة

٩ وأنه ما كان بين أهل هذه المعاهدة من شجار أو حدث مرده إلي الله ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام

١٠ وأنه لا جوار لقريش أو من يناصرها

١١ وأن بينهم النصر علي من اعتدي علي يثرب

١٢ لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو إثم

" أنظر سيرة بن هشام "

وبإبرام هذه الإتفاقية صارت المدينة وضواحيها دولة توافقية الكل آمن علي نفسه وماله وعرضه في ظل أحكام الإسلام والقائد الأعلي لها محمد عليه الصلاة والسلام ورغم ذلك كان مشركي مكة دائمي الإتصال برأس النفاق والشرك بالمدينة عبد الله بن أبي بن سلول وكان يؤلب اليهود علي المسلمين لكن كان رسول الله عليه الصلاة والسلام دائما ما يطفئ هذه النار بحكمته وعندما قررت قريش الصد عن المسجد الحرام ومحاربة المسلمين بعقر دارهم الجديده بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام يحتاط ويأمر بأن يكون له حراس ليلا إلي أن نزل قوله تعالي : " يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67) المائده

هنا نادي رسول الله صلي الله عليه وسلم قائلا أيها الناس انصرفوا عني فقد عصمني الله عز وجل الترمذي ثم جاء الإذن بالقتال بقوله تعالي: " أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الحج الايه ٣٩

وكان القتال واضحا لقريش أهل الشرك لكن اتسعت الدائرة لمن نكث من اليهود العهد وساعد قريشا في اعتدائها علي المسلمين أما من أوفي بالعهد فهو سالم وأيضا عدم قتال من دخل الإسلام من المشركين أو اليهود أو النصاري وحسابه علي الله إن كان منافقا

أحداث ما قبل غزوة بدر

مما لاشك فيه أن الإسلام بطبيعته لا يميل إلي العنف والحرب إلا إذا اضطر إليها ، بدليل المعاهدة التي أبرمها الرسول عليه الصلاة والسلام مع يهود المدينة ، وخلقت مجتمعا توافقيا نادر الوجود ، رغم الإختلافات الإثنيه والعقدية والأيدلوجية والعرقية ما بين اليهود وباقي المجتمع المدني والسر في تلك المعجزة هو العدل المطلق الذي تميز به رسول الله عليه الصلاة والسلام فلم تؤثر فيه النزعة العرقية ولا الميل العنصري بل كانت بنود تتحلي بالأخلاق والعدل المطلقين ولعل هذه هي علة من يسود العالم الآن من الغرب فالإنسان عندهم له قدسيه لا حدود لها أما إذا كان خارج أرضهم فالحيوانات لها حقوق أرقي منه

وما عكر صفو هذه المعاهده العادله هو عبد الله بن أبي بن سلول ، حيث كان يتصل به كفار قريش وكان يؤلبهم علي المسلمين وعندما شعر الرسول بخطر قريش بدأ يرسل السرايا علي مشارف مكة حتي يعرف ما يدور برأس المشركين ومقدار قوتهم وأحيانا كان يخرج بنفسه في غزوه قبل بدر الكبري - والفرق بين الغزوة والسرية هو أن الغزوة ما كان علي رأسها رسول الله عليه الصلاة والسلام بنفسه حارب أم لم يحارب أما السرية هو ما كان فيها أحد قادته فقط -

وكان الهدف من هذه السرايا والغزوات هو استكشاف الطرق حول المدينة ومعرفة مسالكها المؤدية لمكة وعقد معاهدات سلام مع القبائل القاطنة بهذه الطرق وإرسال رسالة قوية لمشركي المدينه واليهود

القاطنين بها أن المسلمين صاروا قوه غير مستضعفه وإرسال إشارات لقريش أن ثمة خطر عليها وعلي تجارتها إن لم تثب لرشدها

سنبدأ بالسرايا

١ سرية سيف البحر

كانت برمضان ١ هجريه مارس ٦٢٣ ميلادية وأميرها كان سيدنا حمزه بن عبد المطلب أسد الله وعم الرسول عليه الصلاة والسلام ومعه ثلاثين مقاتلا من المهاجرين لاعتراض عير من قريش أتت من الشام وفيها أبوجهل مع ثلاثة مائة رجل فبلغوا سيف البحر من ناحية مكان يسمي العيص عند ينبع وانتهي الموقف بلا قتال لكنها كانت رسالة قوية لقريش وكان لواء حمزه أول لواء عقده رسول الله عليه الصلاة والسلام وكان أبيضا حمله ابو مرثد الغنوي

٢ سرية رابغ

وكانت في شوال سنة ١ للهجرة الموافق ابريل ٦٢٣ للميلاد كان قائدها عبيده بن الحارث بن المطلب في ستين رجلا من المهاجرين فلقي أبا سفيان ومعه مئتي رجلا وترامى الفريقان بالنبال دون حدوث قتال وانضم إثنين من جيش مكة للمسلمين هما المقداد بن عمرو البهراني وعتبة بن غزوان المازني وكانا بالأساس مسلمين خرجا مع الكفار ليكونا وسيله للوصول للمسلمين وكان اللواء أبيضا وحامله مسطح بن أثاثة بن عبد مناف

٣ سرية الخرار

والخرار مكان بالقرب من الجحفة خارج المدينة وكانت بذي القعدة سنة ١ للهجرة مايو سنة ٦٢٣ ميلادية وكان قائدها سعد بن أبي وقاص في عشرين رجلا يعترضون عيرا لقريش ولكن مرت العير دون أن يلتقيا وكان اللواء أبيضا بيد المقداد بن عمرو

٤ سرية نخله

وكانت في رجب سنة اثنين للهجرة الموافق يناير ٦٢٤ للميلاد بعث فيها رسول الله عليه الصلاة والسلام عبد الله بن جحش الأسدي الي نخله في اثني عشر رجلا من المهاجرين وكان كل اثنين يتعاقبا علي بعير وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم أعطاه كتابا وأمره ألا يفتحه إلا بعد مسيرة يومين، وبعد يومين فتحه فإذا فيه إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتي تنزل نخله بين مكة والطائف فترصد بها عير قريش وائتنا من أخبارهم وسار عبد الله بن جحش حتي نزل بنخلة فمرت عير لقريش تحمل زبيبا وطعاما وبها عمرو بن الحضرمي وعثمان ونوفل ابنا عبد الله بن المغيره فتشاور المسلمون وقالوا نحن في آخر يوم برجب فان قاتلناهم انتهكنا الشهر الحرام وإن تركناهم دخلوا الحرم ثم اجتمعوا علي الحرب فرمي أحدهم عمرو بن الحضرمي فقتله وأسروا عثمان والحكم وافلت نوفل ثم أتوا بالعير والأسيرين للمدينة وعزلوا الخمس وهو أول خمس في الإسلام وأول قتيل وأسيرين بالإسلام وأنكر الرسول عليه الصلاة والسلام فعلهم وقال ما أمرتكم أن تقاتلوا بالشهر الحرام وتوقف عن التصرف في العير والأسيرين فنزل قوله تعالي: " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (217) البقرة

وهنا قطع الله سبحانه الستة أهل الشرك من قريش قائلا لهم ما هذا النفاق أتتكلمون الآن عن الحرمات وقد قمتم بما هو أشد (إخراج المسلمين من ديارهم وارغامهم علي الهجره واثارة الفتن) ، فهذا اشد من القتل فلا شك أن دعاياتكم وكلامكم عن الحرمات محض افتراء وكذب فقد فعلتم ما هو أشد

ومع ذلك فقد أطلق رسول الله عليه الصلاة والسلام الأسيرين وأدى دية القتيل عمرو بن الحضرمي لأوليائه

غزوات ما قبل غزوة بدر الكبري

لقد ذكرنا آنفا أن الفرق بين الغزوة والسرية هي أن الغزوة بها رسول الله عليه الصلاة والسلام حارب أم لم يحارب أما السرية ففيها أحد صحابته دون وجوده معهم وسوف نستعرض أربع غزوات للرسول عليه الصلاة والسلام قبل غزوة بدر الكبري

١ ـ غزوة الأبواء أو ودان

في صفر سنة ٢ هجرية الموافق أغسطس ٦٢٣ من الميلاد خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم بنفسه في سبعين رجلا من المهاجرين يعترض عيرا لقريش حتي وصل ودان ولم يلق مقاومة واستخلف علي المدينة سعد بن عباده رضي الله عنه وفي هذه الغزوة عقد معاهدة مع عمرو بن مخشي الضمري سيد بني ضمره وهذا نصها : (هذا كتاب من محمد بن عبد الله رسول الله لبني ضمره فإنهم آمنون علي أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر علي من رامهم إلا أن يحاربوا دين الله ما بل بحر صوفه وأن النبي إذا دعاهم لنصر أجابوه وهذه أول غزوه للرسول عليه الصلاة والسلام وكانت غيبته عن المدينه خمس عشرة ليلة وكان اللواء أبيضا بيد حمزه بن عبد المطلب

٢ ـ غزوة بواط

في شهر ربيع الأول سنة ٢ هجرية الموافق سبتمبر سنة ٦٢٣ ميلادية خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم في مائتين من أصحابه يعترض عيرا لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير فبلغ بواطا من ناحية رضوي ولم يلق

كيدا واستخلف علي المدينة سعد بن معاذ واللواء أبيضا بيد سعد بن أبي وقاص

٣ ـ غزوة سفوان

في شهر ربيع الأول سنة ٢ هجرية الموافق سبتمبر ٦٢٣ للميلاد أغار كرز بن جابر الفهري في قوات خفيفة من المشركين علي مراعي المدينة ونهب بعض الماشية فخرج رسول الله صلي الله عليه وسلم في سبعين رجلا من الصحابة لمطاردته حتي بلغ وادي سفوان ناحية بدر لكنه لم يدرك كرزا وأصحابه فرجع من دون حرب وسميت غزوة بدر الأولي واستخلف علي المدينة زيد بن حارثه وكان اللواء أبيضا بيد علي بن أبي طالب

٤ ـ غزوة ذي العشيره

في جمادي الأول وجمادي الثاني ٢هجرية الموافق نوفمبر وديسمبر ٦٢٣ من الميلاد خرج رسول الله صلي الله عليه وسلم في أكثر من مائه وخمسون رجلا من المهاجرين وخرجوا علي ثلاثين بعيرا يتبادلون ظهورها يعترضون عيرا لقريش ذاهبة للشام فيها أموالا لقريش فبلغ ذى العشيرة بينبع فوجد العير قد فاتته بأيام وهذه هي العير التي خرج في طلبها بعد رجوعها من الشام وكانت سببا لغزوة بدر الكبري وكان خروجه عليه الصلاة والسلام في أواخر جمادي الأولي ورجوعه في أوائل جمادي الآخرة وقد عقد عليه الصلاة والسلام معاهده عدم اعتداء مع بني مدلج وحلفائهم من بني ضمره واستخلف علي المدينة أبا سلمة المخزومي وكان اللواء أبيضا بيد أسد الله حمزه بن عبد المطلب كل هذه كانت غزوات صغري مهدت لغزوة بدر الكبري

غزوة بدر الكبري

- 1 -

لقد ذكرنا آنفا أن عيرا لقريش كانت متجهة للشام محملة بأموال وبضائع لقريش متجهه للشام في رحلة الشتاء والصيف وكان علي رأس هذه القافله أبو سفيان بن حرب وقد استطاع بدهائه وخبرته أن يفلت من المسلمين إلي الشام وعندما عادت العير محملة ببضائع تقدر قيمتها بخمسين ألف دينار ذهبي نادي رسول الله عليه الصلاة والسلام في المسلمين قائلا : هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها عسي ربكم أن ينفلكموها ، وترك الأمر للرغبه المطلقة فلم يكن بحسبانه الإصطدام بجيش قريش واستعد الرسول الكريم للخروج ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا ٨٦ مهاجرا و٦١ من الأوس و١٧٠ من الخزرج ولم يكن معهم سوي فرسان ، واحد للمقداد بن الأسود الكندي والآخر للزبير بن العوام ، وسبعون بعيرا، يعتقب الرجلان والثلاثة علي بعير واحد ، وكان رسول الله عليه الصلاة والسلام ومعه مرثد بن أبي مرثد الغنوي يعتقبون علي بعير واحد واستخلف الرسول علي المدينة وعلي الصلاه عبد الله بن أم مكتوم وعند مكان يسمي الروحاء رد أبا لبابه بن المنذر واستعمله علي المدينه وكان اللواء أبيضا دفعه إلي مصعب بن عمير العبدري من قريش وتم تقسيم الجيش لكتيبتين ، كتيبة المهاجرين ويقال لها العقاب ودفع رايتها لسيدنا علي بن ابي طالب وهي سوداء ، وكتيبة الأنصار ودفع برايتها السوداء لسعد بن معاذ وتحرك الرسول عليه الصلاة والسلام بالجيش حتي وصل بئرا يسمي الروحاء ثم اتجه يمين الطريق متجها لطريق مكة وقبل بدر توقف وأرسل بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء الجهني إلي بدر يتجسسان له أخبار

عير قريش وأما خبر عير قريش فكان مع الداهيه أبو سفيان بن حرب حيث علم من العسس بنية المسلمين في مهاجمة العير

والنفل منها لذلك أستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري وأرسله لمكة فوصل ضمضم مكة فأخذ يصرخ ببطن الوادي وقد جدع أنفه واستدار برحله وشق ثيابه وهو يقول : يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة - وهذه كلمه تقال في حالة الحرب والخطر علي العير القادمه - واكمل: أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد وأصحابه الغوث الغوث

هنا تحفز الناس وتذكروا العير التي كانت مع بن الحضرمي وقتله المسلمون ونفلوها وقالوا والله لن يكون ذلك وخرجت قريش عن بكرة أبيها ومن تخلف لعذر أرسل أحدا مكانه ولم يتخلف أحدا سوي بني عدي

وكان جيشا كبيرا ١٣٠٠ مقاتل ومائة فرس وستة مائة درع وجمال كثيرة مجهولة العدد وقائدها العام كان أبو جهل أو عمرو بن هشام ، وتحركوا سريعا وكانوا يخشون أن يضربهم بني بكر من الخلف لعداوه بينهم ، فتمثل لهم الشيطان علي صورة سراقه بن مالك وقال لهم إني جار لكم فتحركوا صوب بدر بلا خوف وهم بالطريق إلي بدر جاءتهم رسالة من الداهية أبو سفيان بن حرب أن ارجعوا لقد نجت عيركم ونجت تجارتكم ، هنا هم الجيش المكي بالرجوع لكن حدث تصدع فيه ، مجموعة تريد العودة وأخري تريد أن تقضي علي المسلمين قضاء مبرما ، وتلقنهم درسا قاسيا لا يفيقون بعده أبدا وعلي رأسهم أبو جهل حيث قال: والله لا نرجع أبدا حتي نصل بدرا فننحر الجزور - أى الإبل - ونأكل ونشرب الخمور ونشعل النيران وتعزف القيان وترقص الجواري ويسمع بنا القاصي والداني

ولكن ظهر بينهم صوت الحكمة وهو الأخنس بن شريق فأشار عليهم بالرجوع ولا داعي للمغامرة طالما أن العير نجت لكنهم رفضوا الإمتثال لأمره فرجع هو وبنو زهرة حلفائه وكانوا ثلاثة مائة رجل وعندما نجوا من بدر ظلوا بعد ذلك يقدروه ويطيعوه ويبجلوه

وهنا شد أبو جهل علي بني هاشم أن يتبعوه لبدر فنزل مع ألف مقاتل بدرا بالعدوة القصوي علي حدود بدر

- 2 -

لقد ذكرنا آنفا أن أبى جهل حث القبائل علي مواصلة السير لبئر بدر ، ومقاتلة المسلمين والقضاء عليهم ونزل بالعدوة القصوي من بدر ، هنا سقط بيدي الجيش الإسلامي فرسول الله صلي الله عليه وسلم لم يكن بجهوزية تامه للحرب لكنه الآن بحرج كيف ينسحب وأمامه جيش مكة بعدته وعتاده فأخذ يستشير أصحابه فوجد بعضهم متحمس والآخر لا يريد كأنما يساقون إلي الموت كما جاء بالأيه ٦ من سورة الأنفال هنا قام قادة الجيش أبوبكر الصديق وعمر بن الخطاب فقالا وأحسنا القول لكن من أشهر كلمه للمهاجرين كانت كلمة المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله إمض لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسي فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون الآية ٢٤ الأنفال ولكن اذهب انت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو صرت بنا إلي برك الغماد لجالدنا معك من دونه حتي تبلغه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم خيرا ودعا له لكن هؤلاء الثلاثه قله في المهاجرين ورسول الله عليه الصلاة والسلام يعلم أن كثرة الجيش من الأنصار فنظر وقال أشيروا علي أيها الناس هنا فطن لذلك قائد الأنصار سعد بن معاذ فقال والله ولكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال سعد قد أمنا بك فصدقناك وشهدنا أن ما جئت به الحق وأعطيناك بهذا عهودنا علي السمع والطاعه فامض يا رسول الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقي بنا عدونا غدا إنا لصبر في الحرب صدق في اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا علي بركة الله فانفرجت أسارير رسول الله وسر بذلك ونشط ثم قال صلي الله عليه وسلم سيروا وأبشروا فإن الله تعالي

قد وعدني إحدي الطائفتين والله لكأني الآن أنظر إلي مصارع القوم ثم ارتحل الجيش ونزل قريبا من بدر وهناك حاول الرسول بنفسه أن يعرف خبر الجيش المكي فقابل بدويا وسأله عن الجيشين جيش محمد وجيش مكة إمعانا في التمويه ، لكن الشيخ البدوي قال لا أخبركما حتي تخبراني من أنتم أولا فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام إذا أخبرتنا أخبرناك قال أو ذاك بذاك قال نعم قال الشيخ أنه بلغني إن جيش محمد بمكان كذا وكذا فإن كان صدق الذي أخبرني فهم الآن بمكان كذا للمكان الذي به جيش المدينة وإنه بلغني أن جيش مكة تحرك يوم كذا وكذا فإن صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به جيش مكة

فلما فرغ من كلامه قال ممن أنتما فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام نحن من ماء ثم مضي فأخذ الشيخ يقول ما من ماء؟ أمن ماء العراق؟

وفي ذلك اليوم أرسل رسول الله عليه الصلاة والسلام ثلاثة من قادة المهاجرين علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص في نفر من أصحابه وذهبوا لماء بدر فوجدوا غلامين يستقيان لجيش مكه فقبضوا عليهما وجاءوا بهما لرسول الله عليه الصلاة والسلام وهو في الصلاه فاستجوبهم القوم فقالوا نحن نسقي جيش مكه فضربوهما حتي كذبا وقالا نحن غلمان لأبي سفيان فتركوهما فلما فرغ رسول الله صلي الله عليه وسلم من صلاته قال لهم معاتبا إذا صدقاكم كذبتوهما وإذا كذباكم تركتوهما صدقا والله أنهما لقريش

ثم خاطب الغلامين برفق فقال أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثب بالعدوة القصوى ثم قال كم القوم قالوا كثير قال فما عدتهم

قالا لا ندرى ، قال كم ينحرون كل يوم ؟! قالا يوما تسع من الإبل ويوما عشر فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والألف ثم قال من فيهم من أشراف قريش قالا عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو البختري وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث بن عامر وطعيمه بن عدي والنضر بن الحارث وزمعه بن الأسود وأبوجهل عمرو بن هشام وأمية بن خلف فأقبل رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها وفي هذه الليله أنزل الله مطرا واحدا كان وبالا علي المشركين منعهم من التقدم وكان علي المسلمين طلا طهرهم به وثبت به أقدامهم وربط علي قلوبهم فنزل جيش المدينه ليسبق المشركين إلي ماء بدر فنزل منزلا أدني من مياه بدر هنا قام الحباب بن المنذر كخبير عسكري وقال يا رسول الله أهذا منزل انزلكه الله لا نستطيع أن نتقدم أو نتأخر عنه أم إنها الحرب والمكيدة والمشوره ؟ فقال بل هو الحرب و الرأي والمكيدة

فقال الحباب يا رسول الله إن هذا ليس بمنزل فانهض حتي نأتي أدني ماء من القوم فننزله فنبني عليه حوضا فنشرب ولا يشربون عندما نقاتلهم فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام لقد أشرت بالرأي

واقترح سعد بن معاذ أن يبني المسلمون مقرا لقيادة رسول الله صلي الله عليه وسلم فدعا له الرسول بخير وبني المسلمون مقرا للقياده علي تل مرتفع

وتم اختيار فرقه من شباب الأنصار علي رأسهم سعد بن معاذ يحرسون رسول الله صلي الله عليه وسلم

وأخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم بنفسه زمام التعبئة المعنوية للجيش وأخذ يشير علي الأرض ويقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله وهذا مصرع فلإن غدا إن شاء الله

ثم بات الرسول عليه الصلاة والسلام يصلي ويدعوا الله إلي جزع شجرة وبات المسلمين هادئي النفس مطمئنين يأملون إن يروا بشائر النصر غدا إن شاء الله ويتضح ذلك في قوله تعالي: " إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) الانفال

وبالغد ان شاء الله نتابع مصارع القوم وعلي رأسهم ابو جهل بن هشام ونتخيل أجداثهم سويا بقليب بدر .

- 3 -

ذكرنا من ذي قبل أن الجيش الإسلامي بقيادة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام نزل ببئر بدر وأنزل الله مطرا فطهرهم به وغشيهم النعاس وباتوا ليلتهم مطمئنين وعلي الجانب الآخر نزل المطر بجيش الكفار أشبه بالوبال ، سيولا اقتلعت الخيام وأكفأت القدور وبثت بقلوبهم الرعب وهم بالعدوة القصوي من بدر وفي الصباح أراد أفراد الجيش المكي الشرب من ماء بدر وهو بحوذة المسلمين وكلما اقترب فرد منهم من البئر تم قتله من رماة المسلمين وجنودهم والناجي الوحيد هو حكيم بن حزام واسلم بعد ذلك وحسن إسلامه ، وكان إذا أقسم قال لا والذي نجاني يوم بدر فلما هدأت قريش بعثت عمير بن وهب الجمحي للتعرف علي قوة جيش المسلمين فدار بفرسه حول المعسكر وقال ثلاثة مائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصون قال ولكن أري أقواما يحملون لكم الموت الناقع وبلايا تحمل منايا فقرروا رأيكم عندها قامت معارضة أخري ضد أبي جهل المصمم علي المعركه تدعو للعوده دون قتال منهم عتبة بن ربيعة وحكيم بن حزام فلما رأي ذلك بعث لعامر بن الحضرمي أخو علاء بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش وقال له هذا حليفك عتبه يريد أن نرجع بالجيش قم فانشد حفرتك وخذ بثأر أخيك فقام عامر وأخذ يصيح واعمراه ، واعمراه فحمي القوم واندفعوا للقتال

ولما تراءى الجيشان قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتنى ، اللهم أحنهم الغداه ـ أى أهلكهم ـ ولما رأي رسول الله عليه الصلاة والسلام عتبة بن ربيعة علي جمل أحمر قال إن كان في الناس خير ففي صاحب الجمل الأحمر أن يطيعوه يرشدوا

وعدل رسول الله صفوف المسلمين وهو يعدلها كان الصحابي سواد بن غزية متقدما عن الصف فوخزه الرسول بقدح بيده وخزه خفيفه أن استو يا سواد ، فقال: سواد يا رسول الله أوجعتني فأقدني أي اتركني آخذ حقي منك فكشف رسول الله صلي الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد يا سواد فاعتنقه سواد وقبل بطنه الشريفة فقال : له ما حملك علي هذا يا سواد؟! قال يا رسول الله قد حضر ما تري فأردت أن يكون أخر عهدي بك أن يمس جلدي جلدك فدعا له الرسول بخير وقال لهم الرسول صلي الله عليه وسلم إذا أقتربوا منكم ارموهم واستبقوا نبلكم ولا تسلوا السيوف حتي يغشوكم وكان أول وقود المعركه الأسود بن عبد الأسد المخزومي وكان شرسا سئ الخلق وقال والله لأشربن من الحوض وأهدمه عليهم أو أموتن دونه فلما خرج متجها بسرعه صوب الحوض أسرع له حمزه وضربه ضربه أطار بها قدمه مع نصف ساقه قبل أن يصل الحوض فوقع علي رأسه تشخب ساقه دما باتجاه أصحابه ثم حبا نحو الحوض حتي وقع فيه يريد أن يبر بقسمه وعاجله أسد الله حمزه بضربه أخري قضت عليه وهو بالحوض هنا اشتعلت المعركه واحتدت فخرج ثلاثة فرسان لقريش مرة واحده من عائلة واحدة وهم عتبه وشيبه ابني ربيعه والوليد بن عتبه فخرج لهم ثلاثة من الأنصار فقالوا لهم من أنتم؟! فقالوا عوف ومعوذ من الأنصار وعبد الله بن رواحه فقالوا يا محمد نريد أكفاء لنا من أبناء عمومتنا وقومنا فأخرج إليهم الرسول عليه الصلاة والسلام عبيده بن الحارث وحمزه وعلي فلما دنوا منهم قالوا من أنتم فأخبروهم فقالوا أكفاء كرام فبارز عبيدة عتبة بن ربيعة وبارز علي الوليد وبارز حمزه شيبة بن ربيعة فأما حمزه وعلي فلم يمهلاهم كثيرا وقضي عَلىٌّ علي الوليد ، وقضي أسد الله حمزه علي شيبة ، أما عبيدة بن الحارث كان رجلا مسنا فأثخن عتبة وأثخنه عتبة فلما رأي ذلك علىٌّ وحمزه انقضا علي عتبة فقتلاه وكانت نهاية هذه المبارزه

بداية سيئة للمشركين ، كيف لا وقد رأوا مصرع ثلاثة من خيرة فرسانهم وقادتهم فاستشاطوا غيظا ، وحملوا علي المسلمين بشراسة والمسلمون ملتزمون بأماكنهم يصدون الهجوم ويدعون الله أن يثبتهم ويقولون : (أحد أحد) أما رسول الله صلي الله عليه وسلم فكان يناشد ربه ويقول: اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، ولما اشتدت المعركة قال اللهم أن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد ، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا ، وبالغ في الإبتهال حتي سقط عنه ردائه فرده الصديق وقال: حسبك يا رسول الله ألححت علي ربك هنا أوحي الله لملائكته أني معكم

(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (9) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12) الأنفال

وأخذت رسول الله عليه الصلاة والسلام غفوه ثم أفاق وقال أبشر يا أبا بكر هذا جبريل علي ثناياه النقع أي الغبار ثم خرج من باب العريش وقال سيهزم الجمع ويولون الدبر ثم أخذ حفنه من الحصباء ورمي بها وجوه قريش وقال شاهت الوجوه فما من أحد من قريش الا تعفر وجه بالتراب ونزل قوله تعالي

فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17) الأنفال

هجوم الجيش وهلاك أبو جهل

بعد أن تأكد الرسول عليه الصلاة والسلام من نصر الله له وإرسال الملائكة أمر الجيش أن يقوم بهجوم مضاد ولا يقف موقف المدافع قبل أن يأمر الله بنزول الملائكة ، فلابد من الأخذ بالأسباب حتي مع وجود الملائكة ، وهنا حرض الرسول عليه الصلاة والسلام الجيش قائلا: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنه ، وقال وهو يحضهم علي القتال: قوموا إ جنة عرضها السماوات والأرض ، هنا سمع عمير بن الحمام يقول بخ بخ فقال له: لما قلت هذا ؟! قال يا رسول الله .. والله أرجو أن اكون من أهلها ، قال فإنك من أهلها ، وكان يأكل تمرات بيده فرماها وقال : والله انها لحياة طويلة حتي أكل هذه التمرات ثم قاتلهم حتي قتل .. رواه مسلم

وحين أصدر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام الأمر بالهجوم المضاد كانت حدة هجمات العدو قد ضعفت ، وفتر حماسه ، وهنا تقدمهم الرسول عليه الصلاة والسلام وكان أقربهم للعدو وهو يقول بكل حزم وقوه : سيهزم الجمع ويولون الدبر ... رواه البخاري

فقاتل المسلمون بكل قوه وثقه وعززتهم الملائكه بقتالها معهم فعن عكرمة يقول : كنا نرى رأس الرجل تندر عن جسده لا ندري من ضربها وكنا نري يد الرجل تندر لا ندري من قطعها وقال بن عباس: بينما رجل من المسلمين يشد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربه بالصوت فوقه والفارس يقول أقدم حيزوم فنظر إلي المشرك فإذا هو مستلقي علي ظهره مجدوع الأنف مشقوق الوجه

فحدث الأنصاري رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك فقال له صدقت ذلك من مدد السماء الثالثه ... رواه مسلم

هنا سقط بيد إبليس الذي كان يتمثل في شكل سراقة بن مالك فعندما رأي الملائكه تمعن في قتل المشركين نقص علي عقبيه وتأكد من هزيمة الجمع فقرر أن يترك الميدان هنا تشبث به الحارث بن هشام فوكزه وقال له القوم ألم تعدنا أن تكون جار لنا فقال إني أري مالا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب

" وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ ۚ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48)

الأيه ٤٨ الأنفال

هنا اقتربت المعركه من نهايتها لكن المتغطرس الجهول أبو جهل كان له رأي آخر وبدأ يشن حربا إعلامية ضروس لقلب الحقائق ورفع معنويات جيشه المثخن بالجراح الذي يجر أذيال الهزيمة

فجعل يشجع الجيش ويكذب ويقول لا يهزمنكم خزلان سراقه لكم فإنه كان علي ميعاد من محمد فواللات والعزي لا نرجع حتي نربطهم بالحبال ونجرهم أساري، لكن سرعان ما تبدت له الحقيقة المؤلمة بعدما شاهد بأم عينه الصفوف من حوله تتهاوي تحت وطأة ضربات جيش المسلمين ، هنا بدي في الأفق فتيان صغيرا السن هما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعوذ بن عفراء فقال أحدهم لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يا عم أين أبوجهل فقال له: يا ابن أخي ما تريد أن تصنع به فقال له سمعت أنه يسب رسول الله صلي الله عليه وسلم والله لا يفارق سوادي سواده حتي يموت الأعجل منا ثم غمزه الآخر

وقال مثل الأول فأشرت إليهما علي أبى جهل وقد انفض الجيش من حوله فابتدراه حتي قتلاه لكن بقي به رمق وذهبا لرسول الله عليه الصلاة والسلام يبشرانه فقال: من قتله ؟! فقال كل واحد منهما : أنا فأخذ من كل سيفه ومسحه وقال كلاكما قتله .. انظر صحيح البخاري ولما انتهت المعركه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من ينظر ما صنع أبوجهل فوجده عبدالله بن مسعود وبه آخر رمق فوضع رجله علي عنقه ليحتز رأسه وقال له لقد أخزاك الله قال له بما أخذاني ما أنا

إلا رجل قتلتموه ثم قال : فلو غير أكار قتلني أي فلاح وضيع ثم قال لمن الدائره اليوم قال له بن مسعود لله ورسوله فقال له بعد أن وضع بن مسعود قدمه علي عنقه لقد ارتقيت مرتقى صعبا يا رويعي الغنم فجز بن مسعود رأسه وأتي يجره إلي رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام الله الذي لا إله إلا هو ورددها ثلاثا ثم قال: الله أكبر ، الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، انطلق فأرينيه ، فانطلق معه بن مسعود وأراه إياه ، فقال هذا فرعون هذه الأمة وأسدل الستار عن أول وأكبر وأهم معارك المسلمين بنصر مبين واضح له ما بعده من أثر إيجابي وقوي في إنتشار دعوة الحق وقوتها

ما بعدغزوة بدر وقبل غزوة أحد

مما لاشك فيه أن غزوة بدر غيرت ميزان القوى بالجزيرة العربية فأصبحت الكفة تميل للمسلمين ، وتأثرت بعض الفئات من هذا النصر،

أول فئه كانت مشركي مكة، ومن علي شاكلتهم من القبائل ، والثانية كانت اليهود أكثر سكان المدينة وما حولها والفئة الثالثة كانوا البدو قطاع الطرق الذين لا يفرق معهم الكفر أو الإيمان أهم شئ عندهم الأرزاق التي كانوا يحصلون عليها من السلب والنهب ولما نما لعلمهم أن الدين الجديد يدعوا لقيم الحق والخير وحفظ حقوق الغير أصابهم القلق والفزع علي أرزاقهم ، والفرقه الرابعة هم المنافقين من اليهود أمثال عبد الله بن أبي بن سلول لما سقط بأيديهم بعد هذا النصر المؤزر آثروا أن يظهروا الإيمان ويبطنوا الكفر، وأول غزوة بعد بدر كانت غزوة بني سليم عندما نشطت استخبارات الجيش المنتصر بعد غزوة بدر رصدت تحركات مريبة لبني سليم وبني غطفان لغزو المدينة هنا تحرك المصطفي عليه الصلاة والسلام في خطوة الهجوم فيها أفضل من الدفاع فغزاهم بعقر دارهم ومعه مئتي فارس بمكان إقامتهم بالكدر شمال المدينه بالطريق المؤدية للشام فلما علم بنو سليم بمجئ النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه فروا وتركوا خمسة مائة بعير فقسمها النبي عليه الصلاة والسلام علي أصحابه وكان من نصيبه غلام يدعي يسار فأعتقه ومكث النبي عليه الصلاة والسلام في ديارهم ثلاثة أيام ثم رجع للمدينة وكانت هذه الغزوه في شهر شوال عام ٢ هجريه بعد غزوة بدر بأسبوع واحد هنا

حنق أهل مكة أكثر علي المسلمين خاصة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام فتأمر إثنان من صناديدها علي قتل خير خلق الله كلهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فجلس عمير بن وهب الجمحي وكان من أشقياء مكه مع صفوان بن أميه بالحجر وكان ابنه وهب بن عمير في أسري بدر فذكروا موتاهم بقليب بدر فقالوا والله ما في العيش بعدهم من خير قال له عمير صدقت أما والله لولا دين علي ليس لي من يقضه عني ، وعيال أخشي عليهم الضيعة بعدي، لركبت إلي محمد فقتلته فأغتنمها صفوان وقال له أنا أقضي عنك دينك وعيالك مع عيالي أتكفل بهم فقال له عمير فأكتم عني شأني وشأنك فقال: أفعل

ثم شحذ عمير سيفه وسممه وانطلق للمدينة ، فلما وصل رأه عمر ينيخ ناقته فقال: لأصحابه هذا الكلب عدو الله عمير ما جاء إلا لشر ، ثم استأذن النبي عليه الصلاة والسلام فقال له أدخله علي فأقبل عمر إلي عمير فجذبه من حمالة سيفه وقال لرجال من الأنصار أدخلوه علي رسول الله عليه الصلاة والسلام واحذروا هذا الخبيث فلما رآه رسول الله عليه الصلاة والسلام وعمر يمسك بقوة حمالة سيفه قال له الرسول عليه الصلاة والسلام أرسله يا عمر ، أدن يا عمير فقال: أنعموا صباحا فقال له النبي عليه الصلاة والسلام : قد أبدلنا الله بتحية خيرا من هذه وهي السلام تحية أهل الجنة

ثم قال: ما جاء بك يا عمير ؟! قال : جئت لهذا الأسير- يعني ولده - في أيديكم فأحسنوا فيه قال فما بال هذا السيف قال قبحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئا ؟!

قال أصدقني ما الذي جئت به قال ما جئت إلا لذلك قال: بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر فذكرتما أصحاب القليب من قريش ثم قلت لولا دين علي وعيال عندي لخرجت حتي أقتل محمدا فتحمل

صفوان بدينك وعيالك حتي تقتلني ، والله حائل بينك وبين ذلك فقال عمير مندهشا : أشهد أنك رسول الله قد كنا يا رسول الله نكذبك بالخبر تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق ثم نطق الشهادتين فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : فقهوا أخاكم في دينه وأقرؤه القرآن وأطلقوا له أسيره ورجع عمير إلي مكة الذي كانت كنيته فيها أشقي أشقيائها لكنه رجع كأحسن دعاتها إلي الله واسلم علي يديه أناس كثر فإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وسئل عنه صاحبه صفوان فقالوا له: لقد أسلم فقال والله لا أكلمه بعد اليوم أبدا ما ضره يا صفوان كلمته أم لم تكلمه فمن أسعده ربه ما ضره عبده

غزوة بني قينقاع

بني قينقاع كانوا يهودا يقطنون المدينة ، وكانت لديهم حرفة صناعة الدروع والأواني والذهب والسيوف ، وكانوا مهرة في حرفتهم وبعد نصر المسلمين المؤزر ببدر زاد حنقهم علي المسلمين وكان لدي كل واحد منهم آلات حرب بحكم مهنتهم

وعددهم كان سبعمائة مقاتل وكانوا مشاغبين ويتعرضون بالأذي للمسلمين ونسائهم ولما تفاقم أمرهم جمعهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال لهم : يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشا قالوا يا محمد لا يغرنك من نفسك أنك قتلت نفرا من قريش كانوا أغمارا لا يعرفون القتال ، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا فأنزل الله قوله تعالي " قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (12) " ... آل عمران وصبر عليهم المسلمون لكنهم إزدادوا طغيانا

وروي بن هشام عن أبي عون أن امرأة من المسلمين أتت بجلب لها أي أغنام أو بضاعة تباع فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلي صائغ منهم تبتاع منه فجعلوا يريدونها علي كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلي طرف ثوبها فعقده إلي ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوئتها فضحكوا بها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين علي الصائغ فقتله ، فشدت جماعة من اليهود عليه فقتلوه هنا نفد صبر رسول الله عليه الصلاة والسلام فاستخلف علي المدينة أبا لبابه بن عبد المنذر وأعطي لواء المسلمين حمزه بن عبد المطلب وسار بالجند إلي بنو قينقاع ولما رأوه تحصنوا بحصونهم فحاصرهم حصارا شديدا

وكان ذلك يوم السبت ١٥ شوال السنة الثانية للهجرة ودام الحصار ١٥ يوما حتي الأول من ذي القعدة وقذف الله في قلوبهم الرعب فاستسلموا ونزلوا علي حكم رسول الله صلي الله عليه وسلم في أنفسهم وأموالهم فأمر بهم فكتفوا وتدخل المنافق عبد الله بن أبي بن سلول فألح علي رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يعفوا عنهم لأنهم قرابته وألح علي الرسول عليه الصلاة والسلام وقال والله لا أتركك حتي تعفو عنهم وعامل الرسول عليه الصلاة والسلام هذا المنافق بالحسني وعفا عنهم بشرط أن يخرجوا خارج المدينه فخرجوا إلي حدود الشام وهلك أكثرهم وأخذ الرسول عليه الصلاة والسلام خمس غنائمهم والذي تولي جمع الغنائم محمد بن مسلمه

أنظر سيرة بن هشام وزاد المعاد

غزوة السويق وذي أمر

عندما تكون كبير قوم وتمني بهزيمة تفكر كيف تحفظ ماء وجهك أمام قومك وهذا ما فكر فيه الداهية أبو سفيان فكان قد نذر بعد هزيمة بدر النكراء ألا يمس رأسه ماء من جنابه حتي يغزو محمدا فخرج ومعه مئتي فارس ليبر بيمينه وأخذوامعهم سويقا كثيرا ومؤن غذائية - والسويق مواد غذائيه أشبه بالدقيق يصنع منه طعام - ونزل ببطن جبل يقال له ثيب يبعد عن المدينة حوالي عشرين كيلو مترا ولم يجرؤ علي مهاجمة المدينة نهارا ، فقام بعمل أشبه بحرب العصابات ، دخل المدينه ليلا متخفيا هو وفرسانه فأتي حُيي بن أخطب من اليهود فأبي أن يستقبله وخاف ثم ذهب إلي سلام بن مشكم سيد يهود بني النضير فاستأذن عليه فأذن له فأكرمه وسقاه النبيذ وأعلمه بأخبار الناس بالمدينه ثم أتي أصحابه فأرسل مجموعه منهم فأغارت علي ناحية من المدينه يقال لها العريض فقطعوا وأحرقوا أصوارا من النخيل ووجدوا رجلا من الأنصار وحليفا له في حرث فقتلوهما وفروا إلي مكه وبلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم الخبر فهاجم أبو سفيان وأصحابه لكنهم فروا ببالغ السرعه وكي يتخففوا القوا السويق والمواد الغذائية من علي ظهور الابل حتي تكون خفيفة وسريعة فتمكنوا من الإفلات وبلغ رسول الله عليه الصلاة والسلام مكان يقال له قرقرة الكدر ثم انصرف راجعا وحمل المسلمون ما تركه الكفار من سويق ومؤن غذائية لذا سميت غزوة السويق وكانت في ذي الحجه عام ٢ هجرية انظر زاد المعاد وسيرة بن هشام وبعدها كانت غزوة أخري تسمي ذي أمر وكان في المحرم ٣ هجرية قبل غزوة أحد مباشرة وسببها أن استخبارات النبي عليه الصلاة والسلام نقلت له أن جمعا كبيرا من بني

ثعلبة وبني محارب تجمعوا يريدون الإغارة علي أطراف المدينة فخرج رسول الله عليه الصلاة والسلام في أربعمائة وخمسين مقاتلا واستخلف علي المدينة سيدنا عثمان بن عفان وفي الطريق قبضوا علي رجل يقال له جبار من بني ثعلبة فأعرض عليه النبي عليه الصلاة والسلام الإسلام فأسلم وصار مع بلال دليلا لجيش المسلمين وتفرق الأعداء في رؤوس الجبال عندما سمعوا عن قدوم جيش المدينة أما الجيش فوصل إلي مكان تجمعهم وهو ماء يسمي ذي أمر فأقام هناك شهر صفر كاملا سنة ٣ هجرية فشعر القوم بقوة المسلمين واستولي عليهم الرعب ثم عاد الجيش للمدينة

.... أنظر سيرة بن هشام

وهناك غزوه أخري تسمي غزوة بحران وقادها رسول الله صلي الله عليه وسلم في ثلاثة مائة مقاتل في شهر ربيع الآخر سنة ٣ هجرية إلي أرض يقال لها بحران بالحجاز عند الفرع بين مكة والمدينة فأقام بها شهرا دون قتال ... انظر سيرة بن هشام

وآخر ما تم قبل غزوة أحد هي سرية زيد بن حارثة في جمادي الآخر سنة ٣ هجرية وسببها أن قريشا رأت أن الطريق للشام سيطر عليه المسلمون وأصبح كله مخاطر فتوصلت أن تسلك بتجارتها طريق غير معروف عبر دليلها فرات بن حيان وخرجت العير يقودها صفوان بن أميه عبر الطريق الجديده الغير مألوفه إلا أن خبر هذه القافله وصل المسلمون عبر سليط بن النعمان كان قد اسلم وكان يشرب الخمر قبل تحريمها مع نعيم بن مسعود الأشجعي ولما دارت الخمر برأس نعيم حكي لسليط عن القافلة وسيرها وبلغ سليط الرسول عليه الصلاة والسلام فأمر بتجهيز مائة راكب بقيادة زيد بن حارثه الكلبي وهاجم زيد القافله عند ماء قردة بنجد علي حين غفلة ففر قائدها

صفوان بن أمية وتم أسر الدليل فرات بن حيان ولم تكن هناك أى مقاومه واستولي المسلمون علي بضائع تقدر بمائة ألف دينار وقسمت علي أفراد السرية بعد أخذ الخمس ... انظر سيرة بن هشام

وهذه السرية تعتبر من أنجح السرايا علي الإطلاق وقد أحدثت هزه قوية بقريش ولم يعد أمامها غير حرب شديده تعيد إليها كرامتها المهانة أو الإستسلام .

غزوة أحد

- 1 -

جُن جنون قريش من المسلمين وانتصاراتهم الساحقة سواء بغزوة بدر أو بغيرها من الغزوات والسرايا وشعروا أن شوكتهم كسرت بين سكان نجد والحجاز

ويهود المدينة هنا أغلقوا الابواب علي أنفسهم ومنعوا البكاء علي قتلاهم وعملوا علي أن يعدوا العدة لحرب قوية تعيد إليهم هيبتهم فاجتمع عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية وأبو سفيان بن حرب وعبدالله بن أبي ربيعة وأول شئ فعلوه احتجزوا عيرا لقريش نجا بها أبو سفيان من غزوة بدر تقدر بألف بعير وقالوا لأصحابها إن محمدا قتل أبنائكم ومزقكم فلابد أن تعينونا بأموال هذه العير حتي نعد له العدة ونقضي عليه فوافقوا جميعا فباعوا البعير وأخذوا الأموال لتجهيز جيشا قويا ، عتاد وعدة ، وهنا نزل قوله تعالي : " إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) الأنفال ٣٦

ثم فتحوا أبواب التطوع لمن يريد المشاركة بهذا الجيش واستمالوا الشعراء والنساء لبث الحماس منهم أبو عزة الشاعر الذي أطلق سراحه رسول الله صلي الله عليه وسلم وأخذ منه العهد ألا يهجوا المسلمين لكنه للأسف مع سلطان المال فعل وأخذ يحث القبائل علي قتال المسلمين ومعه شاعر آخر يسمي مسافع بن عبد مناف الجمحي وبعد مرور عام كانت مكة قد أعدت جيشا قويا عتاد وعدة

قوامه ثلاثة آلاف مقاتل وقد قاموا باستخدام سلاح النساء فاستصحبوا معهم خمسة عشرة امرأه وكان مع هذا الجيش ثلاثة آلاف بعيرا ومئتا فرس وسبعمائة درع وكان سفيان بن حرب هو القائد العام وقيادة الفرسان لخالد بن الوليد يعاونه عكرمة بن أبي جهل واللواء لبني عبد الدار تحرك الجيش المكي صوب المدينة وقوده في التحرك الحقد والغل الذي يملأ قلوبهم علي المسلمين هنا جاء دور استخبارات النبي عليه الصلاة والسلام وكان عمه العباس يرقب تحركات جيش قريش فبعث رسوله علي وجه السرعة يبلغ النبي بكل تحركات الجيش فوصل بالرسالة بعد ثلاثة أيام فقط وسلمها النبي عليه الصلاة والسلام وبعد أن قرأ النبي عليه الصلاة والسلام الرسالة أعلن حالة الطوارئ بالمدينة وظل رجال المدينة عاما كاملا حاملين السلاح لا يفارقهم أبدا وقامت مفرزة فيهم سعد بن عبادة وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير كلهم من الأنصار بحماية النبي عليه الصلاة والسلام ووزعوا دوريات علي مداخل المدينة للحراسة هنا تحرك الجيش المكي علي الطريق المعتاد بين مكة والمدينة فلا حاجه لأخذ طرق ملتوية ، جيش عرمرم مدعوم بالعتاد والعدة ، علاوة علي السلاح المعنوي المتمثل في الشعراء والنساء ، ولما وصل الأبواء ـ مكان خارج مكه ـ اقترحت هند بنت عتبه أكلة الكبود بنبش قبر ام رسول الله عليه الصلاة والسلام آمنة بنت وهب إلا أن القاده رفضوا فتح هذا الباب لما له من عواقب وخيمه ثم واصل الجيش سَيْرَه إلي أن وصل وادي العقيق بالمدينة ثم انحرف باتجاه جبل أحد في مكان يسمي عينين شمال المدينة المنورة وهنا بدأ النبي يستشير أصحابه هل يخرج لملاقاة جيش مكة أم يجلس بالمدينة مدافعا ؟! معظم الصحابه كان رأيهم الخروج لمهاجمة جيش المشركين إلا عبد الله ابن أبي بن سلول المنافق كان لا يريد مهاجمة المشركين حلفاؤه فاقترح ألا يخرج أحد لمهاجمتهم أما رأي الرسول عليه الصلاة والسلام في عدم الخروج

هو أن يستغل تحصن المسلمين ببيوتهم ومهاجمة جيش المشركين من حيث لا يدرون ، من أين أتت الضربة ؟!

ثم قص عليهم الرسول عليه الصلاة والسلام رؤيا رأها ، فقال إني قد رأيت خيرا رأيت بقرا يذبح ورأيت في ذُباب سيفي ثلما ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينه وتأول البقر بنفر من أصحابه يذبحون والثلم في السيف بنفر من قرابته يقتل والدرع الحصينة هي المدينة هنا ألح علي الرسول عليه الصلاة والسلام نفر من الصحابه علي الرسول أن يخرج لملاقاة جيش الكفار وتحت قوة الإلحاح وافق النبي عليه الصلاة والسلام ولبس لبس الحرب وكان من أقوي المتحمسين للخروج للجهاد أسد الله حمزه بن عبد المطلب ثم صلي النبي صلاة الجمعه بالناس وحثهم علي الجهاد وأن الله سينصرهم بصبرهم عند ملاقاة العدو ، ففرح الناس ثم دخل بعد صلاة العصر بيته ومعه وزيراه أبوبكر وعمر، فألبساه درعين وخرج علي الناس مدجج بالدروع متقلدا سيفه هنا قال سعد بن معاذ وأسيد بن حضير استكرهتم رسول الله صلي الله عليه وسلم علي الخروج فقدم الناس وقالوا يا رسول الله ما كان لنا أن نخالفك إصنع ما شئت إن أحببت أن تمكث بالمدينة فافعل ، فقال لهم الرسول صلي الله عليه وسلم: ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتي يحكم الله بينه وبين عدوه

.... رواه احمد والنسائي والحاكم وابن اسحاق والبخاري

وقسم الجيش لثلاث كتائب كتيبة المهاجرين وأعطي اللواء مصعب بن عمير العبدري كتيبة الأوس من الأنصار وأعطي اللواء أسيد بن حضير كتيبة الخزرج وأعطي اللواء الحباب بن المنذر والجيش المدني كان من ألف مقاتل ومائة دارع ولم يكن به فرسان واستعمل علي المدينة عبد الله بن أم مكتوم وتحرك الجيش نحو الشمال صوب

جبل أحد ولما بلغ ثنية الوداع رأي كتيبة حسنة التسليح فسأل عنها قالوا إنهم يهود حلفاء الخزرج يرغبون في معاونتنا فسأل هل أسلموا ؟! قالوا : لا ، فأبي أن يستعين بأهل الكفر علي أهل الشرك

- 2 -

ذكرنا أنفا أن النبي الكريم عليه الصلاة والسلام رفض أن يستعين بقتال أهل الشرك لأهل الكفر ، لأنه لو فعل ذلك لتحول الجيش لمجموعة مرتزقه كل همها مصالح دنيوية ولانتفت أهم عقيدة من عقائد القتال وهي الدعوة إلي الله والإقرار بوحدانيته فنحن نجاهد كي تبقي كلمة الله هي العليا وليست مصالح دنيوية وإن أتت مع القتال فلا ريب .

وعندما وصل الجيش لمكان يقال له الشيخان بدأ يفرز من لم يستطع القتال لصغر سنه أو عدم القدرة مثل عبد الله بن عمر ، وأسامه بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وأسامه بن ظهير ، وزيد بن حارثه ، وغيرهم ، وأجاز رافع بن خديج ، وسمره بن جندب ، رغم صغر سنهما فرافع كان ماهرا برماية النبل وسمرة صرع رافع أمام النبي فأجازه وبات النبي عليه الصلاة والسلام مع الجيش بمكان بين أحد والمدينة وبعد أن صلي الفجر وكان علي مقربة من العدو تمرد رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول فانسحب بنحو ثلث المعسكر ثلاثة مائة مقاتل ، وقال ما ندري علام نقتل أنفسنا ؟! وتحجج أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يأخذ برأيه في البقاء داخل المدينة والهدف كان خبيثا أن ينشق الجيش وينفض عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وكاد يحدث ذلك فقد همت طائفتان من الحيش أن تفشلا وهم بنو حارثة من الأوس ، وبنو سلمه من الخزرج ، ولكن الله ثبتهما ونزل قوله تعالي: " إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (123) " آل عمران

وحاول عبد الله بن حرام أن يثني هؤلاء المنافقين عن توليهم لكنهم رفضوا فقال لهم أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم نبيه ثم توجه النبي عليه الصلاة والسلام بمن بقي من الجيش سبعة مائة مقاتل إلي أحد وكان معسكر الشرك يحول بينه وبين أحد بمناطق كثيرة فقال النبي عليه الصلاة والسلام من رجل يخرج بنا علي القوم من كثب من طريق لا يمر بنا عليهم فقال أبو خيثمه أنا يا رسول الله ثم اختار طريقا قصيرا إلي أحد يمر بحرة بني حارثه ومزارعهم والحرة هي طريق به حجاره لا زرع فيه ومر الجيش بحديقة لمربع بن قيظي وكان ضريرا منافقا ، فقال وهو يحثو التراب بوجوه الجيش لا أحل لك أن تدخل حائطي إن كنت رسول الله فابتدره الصحابه ليقتلوه فقال عليه الصلاة والسلام لا تقتلوه هذا أعمي القلب أعمي البصر وهنا وقفه لطيفه منافق ترك الجيش لم يكفره الرسول ولم يقتله وأخر منع الجيش لم يكفره ولم يقتله

ثم نفذ رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي نزل وادي أحد في عدوة الوادي مستقبلا المدينة ويحمي ظهر الجيش هضاب جبل أحد وجيش العدو محصور بين المدينه وجبل أحد وما أتي محصور بخير أبدا وهنا تجلت عبقرية الرسول عليه الصلاة والسلام كقائد عسكري فذ في اختيار أين يقف الجيش المدني ؟! ونظم القائد الأعلي للجيش سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام جيشه وأخرج منهم خمسين راميا من أمهر الرماه وأعطي قيادتها لعبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري من الأوس وأمرهم أن يتمركزوا علي جبل جنوب شرق معسكر المسلمين لحماية ظهر الجيش وأمرهم ألا يتركوا أماكنهم أبدا مهما كان الأمر وهذا الجبل موجود للآن ويعرف بجبل الرماه يقع علي بعد ١٥٠ مترا من مقر الجيش وقال لهم الرسول صلي الله عليه وسلم التالي قال لقائدهم عبد الله بن جبير انضح الخيل عنا بالنبل لا يأتونا

من خلفنا ان كانت لنا او علينا فأثبت مكانك لا نؤتين من قبلك وقال للرماه أحموا ظهورنا فإن رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا وإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا أنظر سيرة بن هشام البدايه والنهايه والأحاديث الامام أحمد بن حنبل والبخاري والطبراني والحاكم وانظر فتح الباري والمستدرك والرحيق المختوم

بذلك قام القائد الأعلي للجيش الرسول صلي الله عليه وسلم بسد أكبر ثغره يمكن أن ينفذ منها العدو للجيش ويمعن فيه قتلا وهذه إحدي عبقريات النبي عليه الصلاة والسلام وتنظيم الجيش كالتالي علي الميمنة المنذر بن عمرو علي الميسرة الزبير بن العوام يسانده المقداد بن الأسود وفي مقدمة الصفوف النخبة أمثال حمزة وعلي وعمر وغيرهم المئات وبعد تنظيم الجيش بعبقرية فريده جاء دور التعبئة المعنويه فأخذ يحض المسلمين علي القتال والصبر ويعدهم الجنه وأمرهم ألا يقاتل أحد إلا بعد إن يأذن لهم بالقتال ثم جرد سيفا بتارا ونادي أصحابه من يأخذ هذا السيف بحقه فقام إليه رجال ليأخذوه منهم عمر وعلي والزبير حتي قام إليه أبو دجانه أو سماك بن خرشة فقال وما حقه يا رسول الله قال أن تضرب به وجوه العدو حتي ينحني قال أنا آخذه بحقه يا رسول الله فأعطاه إياه وكان أبو دجانه فارس شجاع يحب أن يختال عند لقاء العدو وكان يتعصب بعصابه حمراء معناها أنه سيقاتل حتي الموت فلما أخذ السيف عصب رأسه بعصابة حمراء وأخذ يختال في مشيته وعندئذ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام إنها مشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن وكي تكتمل الصوره في أعين مشاهدي المعركه لابد ان نعرج علي الجيش المكي فكانت القيادة العامة بيد سفيان بن حرب

وجعل علي ميمنته الداهية خالد بن الوليد وعلي الميسرة ابن فرعون الأمة عكرمة بن أبي جهل وقائد المشاه أحد الصناديد صفوان بن أمية وقائد الرماه عبد الله بن أبي ربيعة أما اللواء فكان بيد بني عبد الدار وهم أصول قريش الذين ورثوها من قصي بن كلاب ورغم شركهم كانوا لا يتعدون الأصول والتاريخ وهنا ذكرهم الداهية أبو سفيان بيوم بدر وإن الراية سقطت منهم هنا بث فيهم روح الحفاظ علي الراية لآخر رمق وقام أبو سفيان بحركة دنيئة لا تقل عن بث الحماسه في بني عبد الدار أخذ يوقع العداوة بين صفوف المسلمين ليفرقهم فقال للأنصار خلوا بيننا وابن عمنا ولن نقاتلكم لكن رد عليه الأنصار ردا قويا وتوعدوه بالموت دون رسول الله صلي الله عليه وسلم وهنا ظهر ابو عامر الفاسق الذي كان يرأس الأوس في الجاهلية وكان راهبا فسماه الرسول فاسقا فأخذ ينادي بالأوس وقال لهم أنا أبو عامر فقالوا له لا أنعم الله بك عينا يا فاسق فقال يائسا لقد أصاب قومي بعدي شر وهنا جاء دور التعبئة المعنوية وكانت تقع علي عاتق خمسة عشرة امرأه من أجمل نساء قريش ما بين قينة وراقصة ومعهم اثنين من الشعراء يضربن بالضفوف ويغنين بكلام الشعار بين صفوف الجيش لبث روح الحماسة والقتال ويواعدن القادة والجنود بالحب والعناق في حال تحقيق النصر ويتوجهن لحاملي الرايه بني عبد الدار يقلن ويها بني عبد الدار ويها حماة الأديار ضربا بكل بتار وتارة أخري ستخدمن سلاح المرأه " أن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق"

أى غير محب ودي - أشعار من بحر الوافر الذي يتسم كلماته بالغناء لتليق بهذا المقام - وبعد أن نقلنا صوره حيه لميدان أحد لكلا المعسكرين .

- 3 -

لقد ذكرنا آنفا كيف كانت التعبئة لجيش مكة وأري أنه ما من ممدوحة لما فعلته هند والنسوة اللاتي كن معها لتحميس الجيش لأن العربي حتي في جاهليته كان يستحي أن يكسب معركة عن طريق النساء من غناء ورقص وخلافه لكن هنا وقفه لهند زوجة أبي سفيان فهي أسلمت بعد ذلك ولست بصدد الدفاع عنها لإسلامها وإن كان هذا شرف عظيم لي لكن إحقاقا للحق هند لم تقم بنفسها بمثل هذه الأعمال الخادشة لحياء المرأة لكن كن يقمن بها جواري ليسو بعرب وغير أحرار وما جاء بالأفلام أو بعض المسلسلات من أن هند قامت بنفسها بذلك محض افتراء ودليلي حديث الرسول عليه الصلاة والسلام عندما اجتمع بالنساء وأخذ منهن العهد أن لا يسرقن ولا يزنين فقامت هند وكانت قد أسلمت وقالت أو تزني الحره ؟! وهذا استنكار منها لشئ لم تفعله حتي بجاهليتها لذلك انصافا للحق هند ونساء العرب الأحرار لم ولن يقمن بهذه الأدوار الدنيئة لكنهن جواري عندهن نرجع للمعركة في هذه الأثناء المشحونة بمعنويات عاليه تقدم طلحة بن أبي طلحة العبدري حامل لواء المشركين وهو راكب علي جمل له يدعو للمبارزة هنا لم يمهله الزبير ووثب علي جمله وطرحه أرضا وذبحه بسيفه هنا رأي المسلمون والنبي صلى الله عليه وسلم المنظر فكبر وقال لكل نبي حواريا وحوارى الزبير - راجع صاحب السيرة - الحلبية هنا دارت رحي المعركة واخذ اللواء عثمان بن أبي طلحة أخو طلحة فحمل عليه أسد الله حمزة فضربه علي كتفه ضربه بترت يده مع كتفه حتي بدت رئته ثم رفع اللواء سعد بن أبي طلحة فرماه سعد بن أبي وقاص بسهم في حنجرته مات لحينه ثم رفع اللواء مسافع بن طلحة بن أبي طلحة فرماه عاصم بن ثابت بسهم فقتله فحمل اللواء اخوه كلاب فانقض

عليه الزبير وقتله ثم حمل اللواء الجلاس بن طلحة فطعنه طلحة بن عبيد الله فأرداه قتيلا ثم حمله أرطأه بن شرحبيل فقتله علي بن أبي طالب ثم حمله شريح بن قارظ فقتله قزمان المنافق ثم حمله أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدري فقتله قزمان كذلك ثم حمله ابن شرحبيل فقتله قزمان أيضا حميه لا إيمان هنا بعد أن فنيت رجال بني عبد الدار حمل اللواء عبد لهم حبشي يسمي صؤاب وأبلي بلاء حسنا حتي قتل وسقط اللواء وعندما ندور بأعيننا بعيدا عن اللواء نجد أن المسلمون كانوا يقاتلون بحماس منقطع النظير ويقتلون المشركين وعلي لسانهم كلمة أمت أمت وهنا بدا أبو دجانة وهو يمعن قتلا في المشركين بلا هواده وبشجاعة يغبطه عليها الصحابه

فكان لا يدع رجلا من الأعداء إلا قتله واجهز عليه بسيفه ثم أمعن بالصفوف قتلا حتي وصل لهند وهي ملثمة يحسبها فارس فلما رفع سيفه ليقطع عنقها ولولت كالنساء فلما تأكد إنها امرأه رفع سيفه عنها وأكرم سيف أهداه له رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يضرب به عنق امرأه إقرأ سيرة بن هشام والرحيق المختوم وهنا لوحة أخري مضيئه بميدان المعركه إنه أسد الله حمزه بن عبد المطلب الذي أخذ يضرب بسيفه كل من واجهة من صناديد قريش وأفني لوائهم هنا ظهر دور قاتل حمزه وحشي بن خرب وكان غلاما لجبير بن مطعم فوعده جبير إنه إن قتل حمزه سيكون حرا وكان وحشي بارع بالضرب بالحراب فلنا رأي أسد الله حمزه يمعن في قتل المشركين أتاه من خلفه وقذف بظهره حربته فاخترقت ظهره وبدت أحشائه وخر صريعا وهو ينظر لوحشي يريد أن يلحق به والحربه بأحشائه هكذا تمت الأسود انظر سيرة بن هشام

وهناك عريس السماء أو غسيل الملائكة إنه حنظله بن أبي عامر هل تذكرون أبو عامر الراهب الذي سماه الرسول أبو عامر الفاسق

هذا ولده حنظلة تزوج حديثا ولما سمع منادي الجهاد ترك عروسه وقاتل بالمعركة ولما اقترب من القضاء علي أبي سفيان بن حرب ضربه شداد بن الأسود المشرك فقتله فارتقي شهيدا وغسلته الملائكة وسمي غسيل الملائكة

وننظر بطرف أعيننا علي جبل الرماه الذي أبلي بلاء حسنا ويتجلي ذلك في أن فرسان المشركين بقياده خالد بن الوليد وأبو عامر الفاسق حاولوا مرارا اختراق الرماه للوصول لظهر الجيش لكن الرماه كانوا يمطروهم بالنبل

هنا نزلت الهزيمة المنكره بصفوف المشركين وظل الجيش البسيط المكون من سبعة مائة مقاتل يمعن بجيش عرمرم ثلاثة الاف مقاتل القتل والدمار حتي خارت قوي جيش الشرك ودب فيه اليأس

هنا بدا الجيش المنتصر جيش المسلمين في الإنشغال بجمع الغنائم بعدما اندحر جيش الشرك خلف الجبل وبدأوا يعطون ظهورهم للمعركة وعندما تنشغل بأشياء ثانويه عن الشئ الرئيسي تأتي الكارثة

- 4 -

ذكرنا آنفا أن الجيش الاسلامي أمعن في جيش الكفار قتلا وبدأ الجيش المكي الإنسحاب خلف أحد تاركا الغنائم بأرض المعركة هنا بدأ المسلمون يحصدون الغنائم ولما رأي الرماة الغنائم لعبت الدنيا بعقولهم وبدأوا يتركون جبل الرماة ويتدفقون لجمع الغنائم رغم أن قائدهم عبد الله بن جبير كان يصيح فيهم أن يلزموا أماكنهم ويذكرهم بكلام رسول الله عليه الصلاة والسلام أن لا يتركوا أماكنهم مهما كان الأمر لكن لم يسمع لعبد الله إلا القليل ونزل أكثر من أربعين رجلا لجمع الغنائم هنا انتبه الداهيه خالد بن الوليد القائد العسكرى المحنك الذي لم يهزم قبل أن يسلم وبعد أن أسلم فقتل عبد الله بن جبير وأصحابه ثم وصل لظهر جيش المسلمين وأخذ يمعن فيهم قتلا وصاح فرسانه صيحه عرف الجيش المنسحب أن هناك تطور جديد فقامت عمرة بنت علقمة الحارثية برفع اللواء المطروح أرضا فالتف حولها الجيش المشرك وأحاطوا بالمسلمين من الأمام والخلف أشبه بالكماشة أو بين شقي رحي ، وهنا رأي الرسول عليه الصلاة والسلام جيشه مطوق فأخذ ينادي المسلمين إلي عباد الله وهو يعرف أن المشركين سوف يسمعوا صوته لكنه خاطر بنفسه لإنقاذ جيشه وفعلا خلص إليه المشركون قبل أن يصل إليه المسلمون

هنا التف حول الرسول كبار الصحابه خوفا عليه وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب وأبوبكر الصديق وعلي بن أبي طالب ولما ازداد تطويق المشركين للرسول عليه الصلاة والسلام قال من يردهم عنا وله الجنة فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتي قتل ثم رهقوا الرسول مرة ثانية فقال من يردهم عنا وهو رفيقي بالجنة فقام رجل آخر من الأنصار فقاتل حتي قتل السبعة الذين حوله وكان آخرهم عمارة بن يزيد بن السكن هنا لم يبق حول الرسول عليه الصلاة والسلام إلا طلحه بن عبيد الله وسعد بن أبي

وقاص ، وكانت أحرج ساعه بحياة رسول الله عليه الصلاة والسلام هنا استغل المشركون الفرصة وبدأوا في تكثيف حملتهم علي شخص النبي بغية القضاء عليه فرماه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة فوقع لشقه وأصيبت رباعيته اليمني والسفلي وجرحت شفته السفلي وتقدم إليه عبد الله بن شهاب الزهري فشج جبهته الشريفة وجاء فارس قمئ يسمي عبد الله بن قمئه ضرب خير البرية ضربة علي كتفه آلمته لمدة شهر، لكنها لم تنفذ بتوفيق من الله وبفضل الدرعين الذين ألبسهما له عمر وأبوبكر ثم ضرب علي وجنته ضربه مثل الأولي فدخلت حلقتان من حلق المغفر بوجنته

وقال خذها وأنا بن قمئه فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام أقمأك الله وهو يمسح الدم من علي وجهه ويقول كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلي الله .. "البخاري"

ثم مكث ساعة وقال (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) ..." فتح الباري وصحيح مسلم "

وما ثبت أنه دعا عليهم ، هنا كان دور طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص ، فقد قاما ببطولات نادرة للزود عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فأما سعد فقد فتح له الرسول عليه الصلاة والسلام كنانته وقال أرم فداك أبي وأمي ، وهذا يدل علي تكريم سعد جمع له النبي بين أبويه ، أما طلحه عندما تقدم المشركين صوب رسول الله قال صلي الله عليه وسلم من للقوم فقال طلحه أنا يا رسول الله عليه الصلاة والسلام وقتلهم طلحه واحد تلو الأخر حتي ضربت يده وقطعت أصابعه وأخذ يدافع عن النبي عليه الصلاة والسلام بيده حتي شلت وعن حديث رواه الترمزي قال رسول الله عليه الصلاة والسلام من أحب أن ينظر الي شهيد يمشي علي وجه الأرض فلينظر الي طلحه بن عبيد الله وطبعا معلوم أن

طلحة من العشرة المبشرون بالجنة وفي ذلك الظرف الدقيق الحرج للنبي عليه الصلاة والسلام أنزل الله جبريل وميكائيل ليدافعا عنه

... "انظر البخاري "

هنا المسلمون كان نما إليهم ان الرسول مات فبعضهم رمي السلاح وبعضهم قرر أن يعود إلي المدينة فمروا بأنس بن النضر فقال لهم: إلي أين فقالوا رسول الله صلي الله عليه وسلم مات فقال لهم أنس وما تصنعون من بعده؟! قوموا فموتوا علي ما مات عليه رسول الله ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم باتجاه المشركين وقال: أجد ريح الجنه دون أحد فقاتل حتي قتل ونادي ثابت بن الدحداح قومه فقال: يا معشر الأنصار إن كان رسول الله صلي الله عليه وسلم قتل فإن الله حي لا يموت ، قاتلوا عن دينكم فأخذ يقاتل خالد بن الوليد حتي مات شهيدا كل تلك المواقف كان له أثرا في عودة المسلمين مرة أخري للمعركة وهنا تجمع حول الرسول عليه الصلاة والسلام نفر من أبطال المسلمين علي رأسهم أبو دجانة ومصعب بن عمير وعلي بن أبي طالب ومن النساء نسيبه بنت كعب المازنية أو أم عماره لما أشتد تحلق المشركين حول رسول الله عليه الصلاة والسلام قام أبوطلحة يسور نفسه حول رسول الله صلي الله عليه وسلم ويتقي السهام بجسده وصدره ويقول للرسول عليه الصلاة والسلام نحري دون نحرك وقام أبو دجانة فتمترس حول رسول الله يقي السهام بظهره ورغم حرص سعد ابن أبي وقاص علي قتل أخيه عتبه بن أبي وقاص الذي شج رسول الله عليه الصلاة والسلام وكسر رباعيته إلا أن حاطب بن أبي بلتعه سبقه

وجز رأس أخيه وقتله وجاء دور أم عماره الفارسة المغوارة فأخذت تقاتل ابن قمئة ونالت منه ضربة قويه علي كتفها لكنها عاجلته بعدة

ضربات بالسيف ولم يمت لأن الرسول دعا عليه وقال أقمئك الله أي أماتك بطريقة مهينة وفعلا بعد المعركة هاجمه تيس من غنمه حتي أرداه قتيلا بطريقه قمئه من فوق الجبل وقاتل مصعب بن عمير بطريقه رائعه فكان يحمل اللواء فقطعوا يده اليمني فمسكه باليسري فقطعوها فبرك عليه بصدره وعنقه حتي استشهد والذي قتله بن قمئه وكان مصعب فيه شبه للرسول عليه الصلاة والسلام فظن ابن قمئه أنه الرسول صلي الله عليه وسلم فأشاع بالناس إن محمدا قتل هنا ارتبك المسلمون ونكمل بالقادم إن شاء الله .

- 5 -

عندما يرد الله بك خيرا سيأتيك ولو علي يد أعدائك هذا ما حدث مع المسلمين عندما أشاع الكفار وبقوة مقتل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هذه الشائعة رغم ضراوتها علي المسلمين إلا أنها ألقت

بالثقة الزائدة بقلوب المشركين فتركوا المعركة وانشغلوا بالتمثيل بجثث المسلمين مثلما فعلت هند وغيرها ، هنا تحلت عبقرية النبي عليه الصلاة والسلام فعندما صاح أحد المسلمين أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يمت أشار إليه النبي عليه الصلاة والسلام أن أصمت حتي لا يعرف المشركون ويلتفوا به مرة أخري وعندما التف حوله عليه الصلاة والسلام حوالي ثلاثون فردا من أصحابه أخذ يشق الصفوف ويتعرض لقتال المشركين حتي يصل للجهة الأخري من الجبل فيحتمي به هو وجنوده وهنا تغلبت عبقريته علي عبقرية خالد بن الوليد وفي طريقه للوصول للجبل اعترضه أبي بن خلف فقال لا نجوت إن نجا محمد هنا قام الرسول عليه الصلاة والسلام وقال للصحابه: إتركوه وأخذ حربته وأصابه إصابه خفيفة بترقوته فرجع مرعوبا وقال لأصحابه: قتلني محمد فقالوا له ما بك شئ خدش بسيط بعنقك فقال لقد قال لي إنه سيقتلني واللات والعزي إن بصق علي سوف يقتلني وفعلا وهم راجعون لمكة أخذ يخور خور الثور ومات بسرف ... "انظر سيرة بن هشام والمستدرك للحاكم والرحيق المختوم لصفي الدين"

وفي الطريق للجبل برزت له عليه الصلاة والسلام صخرة لم يستطع ارتقائها لأنه كان قد بدن لكبر سنه عليه الصلاة والسلام



وجروحه الشديدة وثقل الدرعين هنا جلس تحته طلحة بن عبيد الله فجلس تحته فنهض حتي استوي علي الصخرة وقال أوجب طلحة أي وجبت له الجنة انظر سيرة ابن هشام هنا حاول المشركون أن يعلوا الجبل فوق المسلمين هنا قال الرسول صلي الله عليه وسلم اللهم لا ينبغي لهم أن يعلونا فقاتلهم عمر بن الخطاب ورهط من الصحابة حتي ردوهم عن الجبل وأخذ سعد بن أبي وقاص سهم من كنانة رسول الله فرمي به فابتعدوا عن الجبل فاحتفظ سعد بهذا السهم المبارك ... "سيرة بن هشام"

ولو سلطنا الضوء علي وسط الميدان لوجدنا خرق واضح وصريح لحقوق الإنسان فهذه هند والنسوة معها تغلي قلوبهن حقدا علي شهداء المسلمين كغلي المراجل علي النار وأخذن يبقرن بطون الشهداء ويجدعن أنوفهم وآذانهم ويعملنها خلاخيل حول أرجلهن وقلائد حول جيدهن ولاكت هند كبد أسد الله حمزه لكنها لم تستطع أن تبتلعه فلفظته هنا انزل الله النعاس علي قلوب المؤمنين أمنة لهم وبعدها نشطوا للقتال ، وأخذ ابو سفيان طريق زوجته هند وهو طريق الشماتة فأخذ ينادي أفيكم محمد ؟ فلم يجبه أحد ثم قال أفيكم ابن أبي قحافه؟ فلم يجبه أحد ثم قال أفيكم عمر بن الخطاب ؟ فلم يجبه أحد فقد قال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تجيبوه فهو يعلم أن هؤلاء الثلاثة الرسول صلي الله عليه وسلم ومعه وزيراه ابوبكر وعمر لن تقوم بدونهم لدين الله قائمه ثم قال أما هؤلاء الثلاثة فقد كفيتموهم هنا قام الفاروق ولم يملك نفسه فقال يا عدو الله إن هؤلاء من ذكرتهم أحياء وقد أبقي الله لك ما يسوءك فقال بما تسوئني وردد وقال: أعل هبل ، فقال لهم الرسول عليه الصلاة والسلام: ألا تجيبوه؟! فقالوا: فما نقول؟! ، قال: قولوا الله أعلي وأجل ثم قال لنا العزي ولا عزي لكم فقال النبي عليه الصلاة والسلام ألا تجيبونه قالوا ما نقول

قال قولوا الله مولانا ولا مولي لكم ثم قال أنعمت فعال يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا بالجنة وقتلاكم بالنار ثم قال تعالي يا عمر أنشدك بالله أقتلنا محمدا قال لا وهو يسمعك الآن فقال له: أنت عندي أصدق من ابن قمئه وأبر وقام الرسول عليه الصلاة والسلام بعد انصراف الجيش المشرك بتفقد ميدان المعركة وأخذ يجمع الشهداء ويدفنهم وكان بعض الصحابه قد أخذوا شهداء لهم إلي المدينه فأمر بردهم وأخذ يجمع بين الرجل والإثنين بمكان واحد ليدفنهم بعد نزع الدروع والحديد دون غسل وفقدوا نعش حنظلة فوجدوه يقطر ماء ومن هنا سمي غسيل الملائكة لإنه ترك زوجته ولبي داعي الجهاد وعندما رأي الرسول صلي الله عليه وسلم عمه وأخيه من الرضاعه أسد الله حمزة أخذ يبكي بكائا شديدا ثم أمر بدفنه مع أخيه من الرضاعة عبد الله بن جحش ورجع الرسول صلي الله عليه وسلم إلي المدينة بعد أن دفن الشهداء وأعطي سيفه للسيدة فاطمة وقال لها إغسلي عن هذا دمه يا ابنتي والله لقد صدقني اليوم وقال سيدنا علي نفس الكلام للسيدة فاطمة إغسلي عن هذا السيف دمه فوالله لقد صدقني اليوم فقال الرسول عليه الصلاة والسلام لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سعد بن حنيف وأبو دجانة

انظر سيرة بن هشام

غزوة حمراء الأسد

مما لا شك فيه أن هذه الغزوة ليست منفصلة عن غزوة أحد ، بل هي تتممة لها وهي تؤكد شيئين غاية في الأهمية

أولا عبقرية الرسول عليه الصلاة والسلام في بث الرعب في الجيش المكي الذي ظن أنه منتصرا

ثانيا تفنيد دعوي أن المسلمون هزموا في غزوة أحد وذلك أن الجيش المنتصر لا يفر بل يظل بالميدان أيام وليالي ويأسر الرجال ويسبي النساء وهذا لم يحدث من جيش الكفار

ومن عادة الجيوش المنتصرة أن تقبض علي قادة الجيوش الأخري وتدخل المدن تقتل من فيها من رجال وتغير قوانين الحياة فيها وهو ما يسمي في عصرنا بالإنزال البري كل هذا يؤكد أن الجيش المدني الإسلامي لم يهزم لكنها جولة خسرها لحكمة يعلمها الله ، منها أن يمحص الله الخبيث من الطيب ، وأن يكشف المنافقين ، وهذا ما حدث ، وانكشف عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه ، وأن يتعلم المسلمون السمع والطاعه ، فمجرد أن خالف الرماة أمر الرسول صلي الله عليه وسلم انقلبت دفة المعركة .

نرجع لحمراء الأسد فقد كانت غداة غزوة أحد يوم الأحد الثامن من شوال سنة ٣ هجرية ، وهنا قال الرسول صلي الله عليه وسلم لا يخرج معنا إلا من شهد القتال فعارضه عبد الله بن أبي بن سلول قائلا أخرج معكم ؟! قال: لا ، وسار الرسول صلي الله عليه وسلم وأصحابه

حتي بلغوا حمراء الأسد وهي تقع علي بعد حوالي عشرة كيلو مترات خارج المدينة ، وهناك قابل معبد بن أبي معبد الخزاعي فأسلم لكن المشركون لم يعلموا بإسلامه وقال لرسول الله عليه الصلاة والسلام مواسيا لقد عز علينا ما حدث لك ولأصحابك فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام اذهب لأبي سفيان وأخذله فذهب إلي أبي سفيان بالروحاء وهي المكان الذي عسكر فيه الجيش المكي واتفقوا أن يرجعوا ليستأصلوا شأفة الجيش المدني علي بعد حوالي أربعين كيلومترا من المدينة ، ولما كان رأي قادة المشركين هو الرجوع والقضاء علي جيش المدينة خالفهم الرأي صفوان بن أميه وقال لهم صفوان: لا ترجعوا أخشي أن يجمع لكم محمد ما تبقي بالمدينة وتكون الغلبه له

لكنهم قابلوا رأيه بالرفض هنا جاء دور معبد ابن أبي معبد الخزاعي مبعوث رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يا أبا سفيان محمد قد جمع لكم جيشا لم أر مثله قط ، وقد تجمع حوله من تخلف من المدينة يوم أحد وندموا علي ما فعلوا ويتحرقون شوقا لرؤياكم حتي يقتلوكم هنا قال أبو سفيان ويحك ما تقول لقد عزمنا علي الكرة عليهم حتي نستأصلهم فقال له : لا تفعل إني لك ناصح

هنا انهارت عزائم الجيش المشرك ودب فيه الخوف وبدأ يسير بإتجاه مكة ومما يؤكد رعب أبو سفيان وكل ركب عبد قيس المتجه للمدينة أن يبلغوا الجيش الإسلامي أنا جمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم حتي لا يطارد الجيش المدني الجيش المكي وهو منسحب

هنا نزل قوله تعالي بعد أن بلغوا الرسول صلي الله عليه وسلم بهذا التهديد " الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ

اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (174) ال عمران الأيه ١٧٣ ١٧٤

وهذه الأيه الكريمه لخصت الكثير وبعدها أقام الرسول صلي الله عليه وسلم بحمراء الأسد ثلاثة أيام بعد أن تأكد من رحيل جيش المشركين

فبالله عليكم كيف يطلق علي جيش منسحب أنه منتصر فقط هي جولة كسبها ستتبعها جولات

غزوة بني النضير

مما لا شك فيه أن ما حدث بأحد جعلت كل القبائل المشركه حول المدينة تطمع في المسلمين والقضاء عليهم خاصة اليهود الذين كانوا لا يحبون المواجهة العسكرية بل يجيدون المؤامرات والدسائس فبدأوا يتواصلون مع المنافقين أمثال عبد الله بن أبي بن سلول والمشركين بقريش وبعد واقعة يوم الرجيع وبئر معونه بدأوا في التخطيط لإغتيال النبي عليه الصلاة والسلام فلما ذهب إليهم الرسول في نفر من الصحابة وبدأ يفاوضهم أن يعينوه علي دفع دية اللذين قتلهما عمرو بن أميه الضمري بالخطأ والإشتراك في الدية كان من بنود المعاهدة بينهم فقالوا له: نفعل يا أبا القاسم إجلس ها هنا حتي نأتيك بالمال فجلس النبي عليه الصلاة والسلام بجانب جدار من بيوتهم ينتظر الوفاء ومعه نفر من الصحابة وأبوبكر وعمر ، وعلي الجانب الآخر تدور رحي مؤامرة دنيئة فقد حدثتهم أنفسهم أن يأخذوا حجر رحي عندهم إلي أعلي الجدار ويلقوه علي الرسول صلي الله عليه وسلم والذي انبري لهذه المهمة عمرو بن جحاش ـ الذي يمتلك عقل جحش وبصيرة عمياء ـ هنا قال لهم حكيمهم سلام بن مشكم لا تفعلوا فوالله ليخبرنه الله بما هممتم به وإنه لنقض للعهد ، هنا نزل جبريل وأخبر الرسول صلي الله عليه وسلم بالمؤامرة فنهض الرسول مسرعا وتبعه الصحابة وأخبرهم بما همت به يهود ومالبث الرسول عليه الصلاة والسلام أن أرسل إليهم محمد بن مسلمة أن أخرجوا من المدينة لا تجاوروني فيها وقد أجلتكم عشرا فمن وجدته بعد ذلك قطعت عنقه

ولم يجد اليهود بدا من الخروج فجهزوا أنفسهم لذلك ولكن أرسل إليهم المنافق عبد الله بن أبي بن سلول أن لا تخرجوا وسوف أدعمكم بألفي مقاتل ونزل قوله تعالي " أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ "

سورة الحشر الآية ١١

هنا عادت لليهود ثقتهم بأنفسهم وقالوا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك هنا وقع في يدي المسلمين ما يفعلون والقتل والغدر زاد عليهم من كل حدب وصوب لكن الأمر لم يستغرق كثيرا فأخذ الرسول صلي الله عليه وسلم قراره بعد المشاورة وترك علي المدينة عبد الله بن أم مكتوم وأعطي علي بن أبي طالب اللواء وفرض علي بني النضير حصارا دام ست ليال فقط في ربيع الأول سنة أربعة هجرية بعد أن خانهم المنافق عبدالله بن أبي بن سلول ونزل فيه قوله تعالي : " كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ " الحشرالأيه ١٦

وعندما رأي الرسول عليه الصلاة والسلام نخيلهم وحصونهم عونا لهم علي إطالة أمد القتال ورشق المسلمين بالنبال أمر بقطع النخيل ونزل قوله تعالي " مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ " الحشر الايه ٥

وهنا التشديد علي عدم قطع النخيل إلا لضرورة قصوي هنا استسلم القوم واتفقوا مع الرسول صلي الله عليه وسلم أن يخرجوا فأذن لهم بالخروج علي إن يأخذوا أنفسهم وأولادهم وما حملت الإبل إلا السلاح فكانوا يأخذون أي شئ حتي أبواب البيوت فنزل قوله تعالي

" هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ"

الآية الثانية سورةالحشر

وكان بن عباس يسميها سورة النضير وكانت أموال بني النضير وأرضهم خالصة للرسول عليه الصلاة والسلام يضعها كيف يشاء لأنها فىء من الله دون قتال ، فقام بتوزيعها علي الصحابة واحتفظ بجزء من الأرض لنفسه ينفق علي أهله منه

(انظر سيرة بن هشام وصحيح البخاري)

وغزوة بني النضير من الغزوات المباركة فقد قَوَّت شوكة المسلمين وبثت الرعب في قبائل نجد وعضل والقارة وغيرها فبعد أن أعدوا العدة لقتال المسلمين خرج إليهم الرسول عليه الصلاة والسلام كخطوة استباقية فهربوا بالجبال والفيافي ومن بركتها أيضا نزول سورة الحشر وما فيها من أحكام وعظات

هنا قريش تغلي فقد خرج أبو سفيان ومعه ألفي مقاتل في شعبان سنة ٤ هجرية فيما يسمي بغزوة بدر الثانية وخرج له الرسول عليه الصلاة والسلام في ١٥٠٠ مقاتل واستخلف علي المدينة عبد الله بن رواحه وأعطي اللواء علي بن أبي طالب واستبق المشركين علي بئر بدر ينتظرهم أما أبو سفيان نزل بماء مجنة بالظهران قريبا من مكة قبل بدر

هنا لعبت ذكري بدر الكبري برأس أبو سفيان فاخذ يسوق الحجج للجيش المكي في العودة فقال يا معشر قريش ان هذا العام قحط ولا يصلحكم الا عام خصب ترعون أغنامكم الشجر وتشربون اللبن وإني راجع فارجعوا يالك من داهيه يا أبا سفيان فقد أقتنع القوم وعادوا بخفي حنين دونما مواجهة !!

أما المسلمون فجلسوا ببدر ثمانية أيام وربحوا ببضاعة كانت معهم ربحا اقترب من مائة بالمائة بعد أن باعوا بضاعتهم لأهالي بدر والمناطق المجاورة وزادت هيبتهم وسيطروا علي الموقف

انظر سيرة بن هشام وزاد المعاد

غزوة دومة الجندل

استقر الرسول بالمدينة ستة أشهر ينعم المسلمون فيها بنتيجة ظفرهم علي بني النضير ورجوع جيش قريش بخفي حنين من بدر الآخرة

لكن جاءته الأخبار أن القبائل حول دومة الجندل وهي قريبة من الشام تقطع الطريق هناك علي المارة وأنها تجمعت لمهاجمة المدينة فاستعمل النبي عليه الصلاة والسلام علي المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وخرج في ألف مقاتل وأخذ رجلا من بني عذرة دليلا معه يسمي مذكور وذلك في ٢٥ ربيع الأول سنة ٥ هجرية وكان النبي عليه الصلاة والسلام يمشي ليلا ويكمن نهارا حتي يفاجئ القوم بالدومة وحدث وفاجأهم مع الغروب ، فهجم علي ماشيتهم ورعائهم فأصاب منهم وهرب الكثير أما أهل دومة الجندل تركوا ديارهم وفلوا ولما دخل المسلمون لم يجدوا أحدا ، وأقام الرسول صلي الله عليه وسلم أياما بها ثم رجع إلي المدينة دون أن يصاب أحد بهذه القيادة الحكيمة استتب الأمر للمسلمين وأصبحت لهم شوكه يهابها من حول وخارج المدينة لكن مشركي مكة ويهود تغلي قلوبهم كغلي المراجل فتجمعوا من كل حدب وصوب فيما يعرف فيما بعد بغزوة الأحزاب .

غزوة الأحزاب

- 1 -

ذكرنا آنفا أن من بركات غزوة بني النضير أن شوكة المسلمين قويت وازدادت هيبتهم بين القبائل واستتب لهم الأمن لكن ذلك لم يدم طويلا فقلوب يهود تغلي عليهم كغلي الماء بمراجلها فبعثوا عشرون من زعمائهم للمشركين بالحجاز ومكة كي يجمعوا الأحزاب لقطع شأفة المسلمين للأبد وفعلا نجحوا بذلك فقد تجمع معهم قبائل من الجنوب ،قريش ، وكنانه ، واهل تهامه في أربعة آلاف مقاتل يقودهم الداهية أبو سفيان

ومن الشرق قبائل غطفان بنو فزارة وقائدهم عيينة بن حصن ، وبنو مرة يقودهم الحارث بن عوف ، وبنو أشجع وقائدهم مسعر بن رحيلة ، في ستة آلاف مقاتل وتوجه هذا الجيش العرمرم البالغ عشرة آلاف مقاتل نحو المدينة وهذا العدد يفوق أهل المدينة جمعاء

هنا تنامي للنبي عليه الصلاة والسلام عن طريق مخابراته تحرك الأحزاب نحو المدينه فاستشار أصحابه فأشار عليه سيدنا سلمان الفارسي بفكرة الخندق وهذه الفكرة جديدة علي بلاد العرب وقال لرسول الله عليه الصلاة والسلام أنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فأعجب الرسول صلي الله عليه وسلم بالفكرة واختار مكان الخندق به زروع وممهد فيسهل الولوج منه للمدينة وابتعد عن الحرات وجعل ظهر الجيش لجبل سلع

ووكل الرسول صلي الله عليه وسلم كل عشرة من الرجال يحفرون أربعين ذراعا

من الخندق وقام المسلمون بالحفر بهمة ونشاط والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحمسهم ويقول اللهم إن عيش عيش الآخره فاغفرللأنصار والمهاجرة والصحابه ترد نحن الذين بايعوا محمدا علي الجهاد ما بقينا أبدا انظر البخاري

كان المسلمون يعملون بجد ونشاط لكن أعياهم الجوع والعطش وهنا تجلت معجزات الغذاء فلما رأي عبد الله بن جابر بطن الرسول صلي الله عليه وسلم طاوية من الجوع ذبح بهيمة عنده وأمر زوجته أن تطحن صاع من شعير وتعجن خبزا ثم كلم الرسول صلي الله عليه وسلم سرا لكن الرسول دعا الجميع للطعام وكانوا ألف رجل فاخذوا يأكلون أفواجا وبعد أن شبع الجميع تركوا اللحم كما هو والخبز كما هو انظر صحيح البخاري

وجاءت أخت النعمان بن بشير بحفنة من تمر فأخذ منها الرسول صلي الله عليه وسلم التمر وبدده فوق ثوب ودعا أهل الخندق فأكلوا جميعا والتمر يزيد حتي شبع كل أهل الخندق انظر ابن هشام

وعندما بدت للصحابة صخرة قوية لم يستطع الصحابة تكسيرها فأتي الرسول صلي الله عليه وسلم وضربها بالمعول وقال بسم الله فانفلق جزأ وقال الله اكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة ثم ضرب الثانية فانفلق جزءا آخر فقال الله أكبر أعطيت فارس والله أني لأبصر قصر المدائن الأبيض ثم ضرب الثالثه فتفتت كلها فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني سنن النسائي واحمد بن حنبل

وبعد جهد شاق اكتمل بناء الخندق قبل وصول الأحزاب وأقبلت قريش بأربعة آلاف فنزلت بمجمع الأسيال من بئر رومه واقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد في ستة آلاف مقاتل فنزلت بجوار أحد

وهنا نزل قوله تعالي في المنافقين" وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) الآية ١٢ الأحزاب

ونزل قوله تعالي في المؤمنين " وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22) الآية ٢٢ الأحزاب

هنا خرج الرسول عليه الصلاة والسلام في ثلاثة آلاف مقاتل ظهورهم لجبل سلع وبينهم وبين الأحزاب الخندق

لما رأي الأحزاب الخندق تفاجئوا به فهي حيلة جديدة لا تعرفها العرب وكلما أرادوا النفاذ من الخندق أصابوهم المسلمون بوابل من النبل والحجاره فقرروا أن يحاصروا المسلمين ولكن فئة منهم رفضت أن يقفوا مشلولي الأيدي فقرر عمرو بن ود وهو من خيرة فرسان المشركين ومعه عكرمة بن أبي جهل وضرار بن الخطاب أن يقتحموا الخندق ولما ساخت أقدام الفرس بسباخ الخندق عقر عمر بن ود فرسه بالسيف وقال من يبارزني فخرج له أحد الصحابة فقال عد يا ابن أخي أريد كفئا لي فخرج له علي بن ابي طالب فأثني عليه وضربه علي ضربة بسيفه قضت عليه فرأي ذلك عكرمة ومن معه فرجعوا بخيولهم

وهنا بلغ بهم الرعب مبلغا وكلما حاولوا اقتحام الخندق أصابهم المسلمون بوابل من النبل والحجارة



ولأن المسلمين انشغلوا بهذا الأمر فاتتهم الصلاة فكانوا يقضونها هنا حزن الرسول صلي الله عليه وسلم وقال ملأ الله عليهم

بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطي حتي غابت الشمس رواه مسلم وشرحه عن النووي

وقد قتل ستة من المسلمين وعشرة من المشركين هنا تحرك حيي بن أخطب كبير بني النضير وتوجه لكعب بن أسد كبير بني قريظة وقال له جئتك يا كعب بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش علي ساداتها وقاداتها وأنزلتهم بمجمع الأسيال من رومه وبغطفان حتي أنزلتهم بأحد وعاهدوني إلا ينصرفوا حتي يقضوا علي محمد وأصحابه

فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام أي سحاب قد أهريق ماؤه فهو يرعد ويبرق ليس فيه ماء ، ويحك يا حيي دعني وشأني فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء ، فما زال حيي ورائه حتي أعطاه عهدا إن رجعت القبائل أن يحميه بحصنه

فنقض كعب المعاهدة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام وهذا النقض كان خطرا شديدا علي المسلمين لإن موقع بني قريظه كان قريبا جدا من المدينة الفارغة إلا من الأطفال والنساء

هنا أرسلوا أحد رجالهم يتلصص علي المدينة فاختبأت عمة رسول الله عليه الصلاة والسلام السيدة صفية ومعها عمود خيمة فضربته به فخر صريعا وقتل لتوه وكانت لهذه الحادثة أثرجيد علي المسلمين فقد تأكد لبني قريظة إن المدينة بها حماية رادعه فخافوا ولم يغامروا باختراقها

وأراد النبي عليه الصلاة والسلام إن يتحقق من نقد بني قريظة العهد فأرسل لهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وغيرهم ليتأكدوا فلما وصلوا لبني قريظة أكدوا لهم أنه لا عهد بيننا وبين محمد وهاجموا الرسول صلي الله عليه وسلم فرجعوا إلي رسول الله واومأوا له بعضل والقارة أي نفس الخيانة حتي لا يلاحظ باقي المسلمون

ورغم ذلك فطن الناس وتجلي لهم خطر رهيب فالمدينة غير مؤمنة وبني قريظة بظهر المدينة ولا شئ يمنعهم من ضرب المسلمين وهنا نزل قوله تعالي " وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا الآية ١١ الأحزاب

- 2 -

لقد ذكرنا آنفا إن بعد إن نقض يهود بني قريظة العهد مع المسلمين أصبح الوضع صعب جدا علي المسلمين فيهود بني قريظة موقعهم يمكنهم من دخول المدينة في وقت قليل جدا وأصبح المسلمون بين شقي رحى الأحزاب أمامهم ١٠ آلاف مقاتل وبني قريظه خلفهم وهنا بدت مشكلة المنافقين تلوح في الأفق وتضرب وبقوه فقال بعضهم ساخرا كان محمد يعدنا إن ناكل كنوز كسري وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن علي نفسه أن يذهب للخلاء؟!

وأحدهم كان يقول للنبي أن بيوتنا عورة من العدو فأذن لنا أن نخرج فنرجع لدورنا خارج المدينة وفي هؤلاء نزل قوله تعالي " وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (13) الآية ١٢و١٣ الأحزاب

أما رسول الله صلي الله عليه وسلم فتقنع بثوبه حين أتاه غدر بني قريظه فاضجع ومكث طويلا حتي اشتد علي الناس البلاء ثم نهض مبشرا يقول الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين بفتح الله ونصره ثم أخذ يخطط لمجابهة الوضع الصعب وكان يرسل الحرس للمدينة للمحافظة علي النساء والأطفال

وكان يريد أن يصالح عيينه بن حصن والحارث بن عوف سيدي بني غطفان علي ثلث ثمار المدينة علي أن يتركوا باقي أحزاب قريش وحدهم لكن رفض سعد بن معاذ وسعد بن عبادة

فقالا يا رسول الله ان كان الله أمرك بهذا فسمعا وطاعه وإن كان شئ تصنعه لنا فلا حاجة لنا فيه لقد كنا نحن وهؤلاء القوم علي الشرك بالله وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمره إلا قري أي كرم منا أو بيعا فحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له

وأعزنا به نعطيهم أموالنا؟ والله لا نعطيهم إلا السيف فقال لهما إنما هو شئ أصنعه لكم لما رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحده

هنا هيأ الله أمرا جاء بالنصر للمسلمين دون إراقة دماء رجل واحد علي يد رجل من غطفان اسمه نعيم بن مسعود بن عامر الأشجعي جاء رسول الله عليه الصلاة والسلام وقال له يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم إنما أنت رجل واحد فخذل عنا ما إستطعت فإن الحرب خدعه فذهب لبني قريظة وكان عشيرا لهم قبل الإسلام فدخل عليهم وقال قد عرفتم ودي إياكم وما بيني وبينكم قالوا صدقت قال إن قريشا ليسوا مثلكم البلد بلدكم به أموالكم ونسائكم وزراريكم لا تقدرون أن تتحولوا منه لغيره أما قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وأصحابه وقد أعنتموهم عليه وبلدهم ونسائهم وزراريهم بغيره فإن أصابوا فرصه انتهزوها وإلا لحقوا ببلادهم وتركوكم ومحمد لينتقم منكم قالوا عين العقل فما العمل يا نعيم؟ قال لا تقاتلوا معهم حتي يعطوكم رهائن قالوا لقد أشرت بالرأي ثم ذهب نعيم الي قريش وغطفان فقال تعلمون ودي ونصحي لكم ؟ قالوا نعم قال أن يهود قد ندموا علي نقض عهد محمد وأنهم قد راسلوه أن يأخذوا منكم رهائن ليدفعوها إليه ثم يوالونه عليكم فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم فلما كانت ليلة السبت سنة ٥ هجرية بعثوا إلي يهود بني قريظه أنا لسنا بأرض مقام وقد هلك الكراع أي الخيل والخف أي الإبل فانهضوا حتي نناجز محمدا فأرسل إليهم اليهود أن اليوم سبت وقد علمتم ما

أصاب من قبلنا عندما أحدثوا فيه ومع ذلك لن نقاتل معكم حتي ترسلوا إلينا رهائن فلما جائتهم رسلهم بذلك قالوا صدقكم والله نعيم

فقالوا لقريظة لن نرسل لكم رهائن فأخرجوا إلينا نقاتل محمدا فقالت قريظة صدقكم والله نعيم فتخاذل الفريقان ودبت الفرقه بينهم هنا أخذ المسلمون ومعهم رسول الله صلي الله عليه وسلم يتضرعون إلي الله أن ينصرهم علي الأحزاب وكانوا يدعون بهذا الدعاء اللهم أستر عوراتنا وأمن روعاتنا ورسول الله عليه الصلاة والسلام يدعو ويقول اللهم منزل الكتاب سريع الحساب أهزم الأحزاب اللهم أهزمهم وزلزلهم انظر صحيح البخاري

هنا استجاب الله للمسلمين وللرسول عليه الصلاة والسلام فارسل ريحا قويه عاصفة قلعت خيامهم وأكفأت قدورهم وحملت القذي لعيونهم فاصبح الرجل لا يعرف من يجلس عن يساره أو يمينه وأرسل عليهم ملائكة زلزلتهم وألقت بقلوبهم الرعب

وأرسل الرسول صلي الله عليه وسلم في تلك الليله البارة العاصفة حزيفة بن اليمان فوجدهم تهيأوا للرحيل فأخبر رسول الله صلي الله عليه وسلم بذلك فالحمد لله الذي صدق وعده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده وقد حاصر المشركون المسلمين شهرا كاملا بدأ بشوال وانتهي في ذي القعدة هنا عاد الرسول صلي الله عليه وسلم إلي المدينة وقال الآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسير إليهم

صحيح البخاري

إن من فوائد غزوة الأحزاب أن المسلمون بدأوا عهد جديد فقريش واليهود قد جمعوا عدد خرافي من الأحزاب والجند ورغم ذلك رجعوا خائبين مهزومين فمحاولة جمع هذا العدد مرة أخري ضرب

من ضروب المستحيل لذا انتهت مرحلة أن يهاجم أحد المدينة وللأبد وبدأت مرحلة الفتوحات للمسلمين أي أصبحوا هم الفاعل الرئيسي للقادم من الغزوات والفتوحات لذلك سوف ننتقل معا لمرحلة جديدة تختلف عن باقي المراحل أنفة الذكر فالله اسأل أن يمكننا من إكمالها علي خير إن شاء الله والله الموفق.

غزوة بني قريظة

ذكرنا آنفا أن غزوة الأحزاب وما صاحبها من نصر ساحق للمسلمين قد نظرت لمرحلة جديده بحياة المسلمين وهو أن يغزوهم أعداء الله ولا ينتظروا أحد ليغزوهم والبداية كانت سريعة وحاسمة فعندما عاد الرسول عليه الصلاة والسلام للمدينه جائه جبريل بظهر نفس اليوم وهو يغتسل وقال له أو قد وضعت السلاح؟ فإن الملائكة لم تضع سلاحها فانهض بمن معك إلي بني قريظة فأني سائر أمامك أزلزل حصونهم والقي بقلوبهم الرعب فأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم مؤذنا فأذن في الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصرإلا في بني قريظة واستعمل علي المدينة بن أم مكتوم وأعطي علي اللواء ووصل علي ديارهم حتي أقام عند بئر أنا واسرع المسلمون لامتثال أوامر النبي عليه الصلاة والسلام وغزوا السير لديار بني قريظة وبعضهم لم يصل العصر إلا في بني قريظة والآخر صلي بالطريق ولم يعتب عليهم والتحرك كان بذي القعده سنة ٥ هجريه في ثلاثة الاف مقاتل فحاصروا بني قريظه وشددوا عليهم الحصار الذي دام ٢٥ يوما ومر عليهم زعيمهم كعب بن اسد ونصحهم أن يسلموا او يتنازلوا فأبوا وارادوا أن يتصلوا ببعض حلفائهم فكان أبا لبابه أحد الصحابه حليفا لهم فأذن لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ان يتصلوا به حتي يعرفوا ما سيحل بهم ان تنازلوا وكان لابي لبابه اموال وولد في منطقتهم فلما رأوه أجهشوا بالبكاء فأشار اليهم بعلامة الذبح ثم علم من فوره أنه خان فامر امرأته ان تربطه بجزع نخله بالمسجد ولا تفكه الا عند كل صلاه وظل علي ذلك ست ليال الي ان نزل نص برائته قرأن يتلي فبشر النبي عليه الصلاة والسلام ام سلمه فبشرت أبا لبابه

وهمت زوجته أن تفكه فقال: لا لن يفكني إلا رسول الله صلي الله عليه وسلم فصلي النبي الصبح وفكه ، وهنا شدد المسلمون الحصار وصاح سيدنا علي عليهم يا كتيبة الإيمان والله لأذوقن ما ذاق حمزه أو لأفتحن حصونهم حينئذ بدأوا في الإستسلام وبعد أن وثق الرجال وجنبت النساء والاطفال قال لحلفائهم رسول الله صلي الله عليه وسلم ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا: بلي قال فذاك لسعد بن معاذ قالوا رضينا فأرسل لسعد بن معاذ وكان بالمدينه لم يبرأ من جرحه يوم الأحزاب فعندما دخل سعد علي بني قريظه أخذوا يتوددون إليه أن أحسن في مواليك يا سعد وهو صامت وعندما زاد إلحاحهم عليه قال لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم فانصرفوا عنه

وحكم فيهم سعد بأن تقتل الرجال وتسبي الذريه وتقسم الأموال فقال رسول الله لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات وهذا الحكم ليس بجائر لأن بني قريظه خانت عهدها مع النبي عليه الصلاة والسلام في ظروف غايه في الصعوبه كانت يمكن أن تؤدي لهلاك كل مسلمي المدينه وهذا يندرج تحت الخيانة العظمي وقد تم قتل حيي بن أخطب رأس اليهود والد صفيه زوجة النبي عليه الصلاة والسلام

وبعد مده قليلة استشهد سيدنا سعد بن معاذ من أثر جرحه بغزوة الأحزاب وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ جاء بصحيح البخاري

وبهذه الغزوة استتب الأمر تماما للمسلمين بالمدينة وبدأوا يفكرون بغزو أعدائهم خارج المدينه كما سنستعرض بالقادم إن شاء الله

غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك

بعد غزوة بني قريظة في العام خامس من الهجرة استتب الأمر تماما للمسلمين في المدينة وما حولها وبدأ رسول الله صلي الله عليه وسلم يبعث السرايا والمغازي والمفارز لبعض جيوب الشرك والنفاق حول المدينة منها غزوة بني لحيان الذين غدروا بعشرة من الصحابة يوم الرجيع لكن عندما وصلهم النبي خافوا وتفرقوا بالجبال وكثير من السرايا

أما غزوة بني المصطلق فكانت مابين نهاية العام الخامس الهجري وبداية السادس الهجري وسببها أنه بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أن سيد بني المصطلق الحارث بن ضرار تكلم مع قومه بني المصطلق وكلم بعض العرب علي ان يهاجم المدينه هيهات لك يا حارث ألم تعلم ان مهاجمة المدينة كان عهدا وولي بعد غزوة الأحزاب لكن هكذا بعض البشر عندما يتملك الحقد قلبه يعمي بصره وتنتهي بصيرته هنا علم خير خلق الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فارسل بريده بن الحصيب الاسلمي للتحقق من الخبر فلقي الحارث وأكد للرسول عليه الصلاة والسلام الخبر فأسرع الرسول صلي الله عليه وسلم للخروج في شهر شعبان وكان معه بعض المنافقين الذين لم يخرجوا قبل واستعمل علي المدينه زيد بن حارثه وأرسل الحارث عينا له لتتجسس علي جيش المدينة فقبض عليه المسلمون وقتلوه ولما بلغ الحارث مقتل عينه ومسير الرسول صلي الله عليه وسلم إليه ارتبك وخاف من كانوا حوله من العرب وتركوه ووصل الرسول صلي الله عليه وسلم إلي ماء من مياههم عند قديد بين مكة والمدينة يقال له

المريسيع وصف الرسول صلي الله عليه وسلم أصحابه وراية المهاجرين مع أبي بكر الصديق وراية الأنصار مع سعد بن عبادة فتراشقوا بالنبل ساعة ثم أمر الرسول صلي الله عليه وسلم بالهجوم فحملوا حملة رجل واحد عليهم فانتصر المسلمون وسبيت النساء والأطفال وأخذت الأنعام ولم يقتل في تلك الغزوة من المسلمين إلا رجل واحد قتله أحد الأنصار بالخطأ وكانت من ضمن السبي السيدة جويرية بنت الحارث بن ضرار وقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها فأدي عنها رسول الله صلي الله عليه وسلم وتزوجها بعد أن عرض عليها الإسلام وأسلمت وكانت أكثر سيدة خيرا علي قومها ، فقد أطلق الصحابه أكثر من مائة رجل من قومها حبا في رسول الله عليه الصلاة والسلام لإنهم أصبحوا أصهاره لزواجه منها ونزل بهذه الغزوة أيه صريحة تؤكد أن المنافقين لا يأتي منهم إلا كل شر وذلك في قوله تعالي بسورة التوبه " لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (47) **الايه ٤٧**

وكان لسيدنا عمر أجير يقال له جهجاه الغفاري ازدحم علي الماء هو وسنان الجهني من الأنصار فاقتتلا فقال سنان يا معشر الأنصار وقال جهجاه يا معشر المهاجرين فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام أبدعوي الجاهليه وأنا بين أظهركم دعوها فإنها منتنه فبلغ ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فغضب وقال أو قد فعلوها صحيح سمن كلبك يأكلك والله لإن رجعنا للمدينة ليخرجن الأعز منها الازل ، فبلغ هذا الكلام الرسول صلي الله عليه وسلم وسمعه عمر فقال يا رسول الله مر عباد بن بشر ليقتله فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف يا عمر إذا تحدث الناس إن محمدا يقتل أصحابه ؟ لا ولكن أذن في الناس بالرحيل

هنا تحرك الجيش وكانت السيدة عائشة مع رسول الله بتلك الغزوة وقد فقدت عقد لأختها أعارته إياها فذهبت إلي نفس المكان تلتمس العقد هنا تحرك الجيش وكانت السيدة عائشة صغيرة سن وخفيفة وزن فحملوا هودجها ولم يلحظوا عدم وجودها به ووضعوه علي الجمل وتحرك الجمل وهودجها فاضي

فرجعت السيدة عائشة للمكان فلم تجد به أحد فراها صفوان بن المعطل وقال: " إنا لله وإنا إليه راجعون " زوجة رسول الله فاناخ جمله وابتعد حتي ركبت وسحب الجمل ماشيا حتي وصل المدينة بعد الجيش بساعات فرآه رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول فقال ما نجت منه ولا نجا منها ، وانتشر حادث الإفك بين المسلمين فحزن الرسول صلي الله عليه وسلم وكلم سيدنا علي فقال له تزوج أو إسأل الخادمة تصدقك فسأل خادمتها بريرة فقالت : والله ما رأيت عليها شيئا إلا أنها جارية حديثة سن كانت تترك العجين فتأكله الداجن ثم سأل زوجته زينب بنت جحش فقالت حمي الله بصري وسمعي يا رسول الله ما علمت إلا خيرا وعندما رجعت عائشة لم تكن تعلم شئ لكن كانت مريضة وأحست بتغير معاملة الرسول عليه الصلاة والسلام فكان يقول كيف تيكم فاستأذنت الرسول صلي الله عليه وسلم أن تمرض ببيت أبيها فأذن لها بعد أن عرفت الخبر من أم مسطح وهي تدعو علي ولدها مسطح فذهب إليها الرسول صلي الله عليه وسلم ببيت ابي بكر فقال اما بعد يا عائشه فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلي الله تاب الله عليه عندها جففت دموعها وقالت ردي يا أماه علي رسول الله فقالت والله يا ابنتي ما أدري ما أقول وقالت لأبيها مثل ذلك وكان نفس الرد فقالت والله لإن قلت لكم إني بريئه والله يعلم أني بريئه لا تصدقوني وإن اعترفت لكم

بأمر والله يعلم أني بريئه منه لتصدقني والله لا أجد لي ولكم إلا قول أبي يوسف فصبر جميل والله المستعان علي ما تصفون سورة يوسف ثم تحولت واضجعت متعبه وبعد ساعة نزل الوحي علي رسول الله عليه الصلاة والسلام فسرى عنه وهو يضحك فقال يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت: لها أمها قومي لرسول الله واشكريه فقالت: والله لا أشكر إلا الله الذي برأني وهنا تم جلد كل من تحدث بالإفك مثل مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ، وأما رأس النفاق فقد اكتفي الرسول صلي الله عليه وسلم بما بشره الله به في الآخره من عذاب أليم

وعندما أراد أن يدخل المدينة وقف ابنه عبدالله وكان صحابيا جليلا وقال: لن تدخل المدينة إلا بعد أن يأذن لك رسول الله صلي الله عليه وسلم لتعلم من هو العزيز ومن هو الذليل وقال للرسول عليه الصلاة والسلام إن أردت أن آتيك برأسه فعلت لكن الرسول رفض قتله وأذن له بدخول المدينة .

وهنا أسدل الستار علي أهم الغزوات التي كشفت المنافقين وعلمت المسلمين كيف يحافظوا علي الأعراض وعدم الخوض فيها .

حجة النبي وخطبة الوداع

من سنن الله في الكون أنه ما من شئ يتم إلا حمل في طيات اكتماله نهايته ، وهذا ما جعل سيدنا عمر يبكي عندما نزلت سورة النصر" إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (2) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (3) " صدق الله العظيم

فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني أنا كنا في زيادة من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شئ قط إلا نقص فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم : صدقت ، هنا كان يعلم رسول الله صلي الله عليه وسلم بدنو أجله فلما أرسل معاذ لليمن قال يا معاذ إنك عسي ألا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري فبكي معاذ حزنا علي فراق المصطفي وبعد أن اكتمل البنيان بعد أكثر من عشرين عاما جهادا في سبيل الله قرر أن يحج حجته المبرورة لتكن خير ختام لأعظم مسيرة دعوية لوحدانية الله بتاريخ الأمم قاطبة ففي يوم السبت خمسة وعشرين من ذي القعدة تهيأ النبي عليه الصلاة والسلام للرحيل فترجل وأدهن ولبس إزاره وردائه وقلد بدنه أي هدي وانطلق بعد الظهر حتي وصل ذا الحليفه قبل صلاة العصر فقصر العصر ركعتين وبات بذى الحليفة حتي أصبح فلما أصبح قال لأصحابه أتاني الليله آت من ربي صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجة .. رواه البخاري

وقبل أن يصلي الظهر اغتسل لإحرامه ثم طيبته السيدة عائشة بيدها بطيب فيه مسك وضعته علي بدنه الشريفة ورأسه حتي كان

يلمع الطيب في مفارق الشعر واللحية الشريفة ثم تركه ولم يغسله ثم لبس إزاره وردائه ثم صلي الظهر ركعتين قصرا ثم أهل بالحج والعمرة في مصلاه وقرن بينهما ثم خرج وركب ناقته القصواء وأهل وهو بالبيداء متوجها صوب مكة فلما قرب من مكة بات بذي طوي ومعه حشد من الصحابة وعامة المسلمين ثم دخل مكة بعد أن صلي الفجر واغتسل من صباح يوم الأحد الرابع من ذي الحجة سنة عشرة هجرية وبذلك يكون قضي بالطريق من المدينة لمكة ثمان ليال فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت طواف القدوم وسعي بين الصفا والمروة ولم يحل لأنه كان قارنا ساق معه الهدي فنزل بأعلي مكة عند الحجون وأقام هناك وأمر من لم يكن معه هدي من أصحابه أن يجعلوا إحرامهم عمره فيطوفوا بالبيت ويسعوا بين الصفا والمروه ثم يحلوا حلالا تاما فترددوا فقال لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اهديت ولولا أن معي الهدي لأحللت فحل من لم يكن معه هدي وسمعوا وأطاعوا وفي اليوم الثامن من ذي الحجة المعروف بيوم التروية توجه الي مني فصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر

ثم مكث قليلا حتي طلعت الشمس فتوجه لعرفه فوجد القبه ضربت له بنمرة مكانها الآن مسجد نمره بعرفة فنزل بها حتي اذا زالت الشمس ركب القصواء فأتي بطن الوادي وقد اجتمع حوله حوالي مائة وأربعه وأربعون الفا من المسلمين فقام خطيبا وألقي هذه الخطبة

(أيها الناس، اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا - انظر سيرة بن هشام - إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهليه موضوعه وإن أول دم أضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث وكان مسترضعا في بني سعد فقتلته هزيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع من ربانا

ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ولقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ، أيها الناس إنه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم ألا فاعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وتحجون بيت ربكم وأطيعوا أولات أمركم تدخلوا جنة ربكم وأنتم تسئلون عني فماذا أنتم قائلون؟

قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فأشار بالسبابه يرفعها للسماء ثم يوجهها للناس اللهم فاشهد - ثلاث مرات - وبعد أن فرغ من خطبته نزل عليه قوله تعالي " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3) المائده الأيه ٣

<u>نقف عند خطبة الوداع ونستخلص التالى</u>

1 - بدأ النبي عليه الصلاة والسلام بالتأكيد علي حرمة الدماء لما لها من شأن عظيم في الدنيا والآخره ولزوال الكعبة حجرا حجرا أهون عند الله من إراقة دم مسلم

2 - وفي الدماء أيضا بدأ بوضعها أي التسامح فيها مع وليها حتي يضع حدا لدائرة الثأر الملعونة حفاظا علي الدماء

3 - أكد علي حرمة المال بعد الدماء مباشرة

فلا يحل لمسلم ان يأكل مال أخيه إلا برضا منه



4 - أكد علي حرمة الربا ورغم إنه لعمه نصيب بدأ به ووضعه وله رأس ماله فقط

5 - بعد ذلك عرج علي قضيه غاية في الأهمية وهي النساء وحث علي الإحسان لهن وانهن لا يحللن لنا إلا بكلمة الله أى الزواج علي سنة الله ورسوله وبين ما لهن وما عليهن

6 - أكد علي التمسك بكتاب الله وأنه من تمسك به مع سنة رسول الله لن يضل

7 - أكد علي أنه خاتم الأنبياء وأمته خاتمة الأمم وحثنا علي توحيد الله وترك الجاهلية عن طريق الإقرار بقواعد الإسلام الخمس من شهادة ، وصلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ثم أشهدهم علي ذلك وأشهد الله عليهم

تلك عبر مستقاه من أعظم خطبة شهدها التاريخ لإنه صلي الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم فبخطبة واحدة وكلمات قليلة في عددها كبيرة في معناها بين لنا أمور دنيانا وأمور أخرتنا .

صلح الحديبية

ذكرنا بالسابق أن غزوة الأحزاب أو الخندق نقلت المسلمين لمرحلة أكثر تمكنا ومنعه وبدأ الرسول صلي الله عليه وسلم يرسل السرايا لكبار الصحابة للقبائل حول المدينة وبالعام السادس من الهجرة رأي رسول الله صلي الله عليه وسلم بالمنام أنه دخل هو وأصحابه المسجد الحرام بمكة وأخذ مفتاح الكعبة وطافوا واعتمروا وحلق بعضهم وقصر بعضهم وأخبر الصحابة ففرحوا وأمرهم أن يتجهزوا للسفر للعمرة ففعلوا وغسل الرسول ثيابه وركب ناقته القصواء واستخلف علي المدينة نميلة الليثي وخرج يوم الإثنين غرة ذي القعدة العام السادس الهجري ومعه زوجته أم سلمة في ألف وخمسة مائة سلاحهم بالقرب دليل علي مسالماتهم وتحركوا باتجاه مكة ولما وصلوا ذي الحليفة قلدوا الهدي و أحرموا للعمرة وارسل النبي عليه الصلاة والسلام عينا له من خزاعة يأتيه بخبر القوم فقال له إني وجدت كعب بن لؤي جمعوا لك الأحابيش من مكة وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت هنا تشاور النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه هل نقاتلهم أم نسير للعمرة فقال أبوبكر الله ورسوله أعلم إنما جئنا معتمرين ولم نأت لقتال أحد لكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه فقال النبي عليه الصلاة والسلام فروحوا فراحوا ، وهنا قررت قريش صد المسلمين عن البيت فأرسلت خالد بن الوليد علي رأس مئتى مقاتل فلما رأهم الداهية خالد يصلون الظهر قال لو أغرنا عليهم بالصلاه لنلنا منهم سننتظر حتي العصر لكن نزلت قبل العصر صفة صلاة الخوف هنا بدل رسول الله عليه الصلاة والسلام الطريق لمكة وأخذ طريق وعر حتي يتجنب القتال فكان بطن الحديبية علي بئر قليل الماء أقصي الحديبية ولما حرنت القصواء قال الصحابة حرنت فقال لهم

الرسول صلي الله عليه وسلم ما حرنت وما هذا لها بخلق ولكن منعها مانع الفيل فزجرها النبي فاستقرت بأقصي الحديبية ولما كان البئر قليل الماء شرب منه جزء من المسلمين واشتكوا العطش فانتزع رسول الله عليه الصلاة والسلام سهما من كنانته وأمرهم أن يجعلوه بالبئر فأخذ الماء ينضح بالبئر ويزداد هنا جاء بديل بن ورقاء الخزاعي وقال اني تركت كعب بن لؤي يريد قتالكم وصدكم عن البيت فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم إنا لم نجئ لقتال أحد ولكنا جئنا معتمرين وإن قريشا قد أنهكتهم الحرب وأضرت بهم فان شاءوا ماددتهم ويخلوا بيني وبين الناس وإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد استراحوا وإن هم أبوا إلا القتال فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم علي أمري هذا حتي تنفرد سالفتي أو لينفذن الله أمره

فقال بديل سأخبرهم فأخبرهم وأرسلوا رجلا آخر مكرز بن حفص فلما رآه الرسول صلي الله عليه وسلم قال هذا رجل غادر فلما تكلم قال له الرسول عليه الصلاة والسلام نفس ما قاله لبديل ثم قام رجل آخر اسمه الحليس بن علقمه فقال إذهب إليهم وكان يحب الهدي فلما رأي المسلمين مقلدين الهدي واستقبلوه به ملبين حسب نصيحة الرسول صلي الله عليه وسلم للصحابه قال ماينبغي لهؤلاء أن يمنعوا من البيت

وكلم النبي عليه الصلاة والسلام عروه بن مسعود الثقفي وقال له يا محمد أرأيت لو استأصلت قومك هل رأيت أحدا فعل هذا قبلك فقال ولو فعلت ذلك فإني أري أوباشا من الناس خليقا بهم أن يفروا ويدعوك وحدك فقال له أبوبكر إذهب للجحيم أنت واللات انحن نفر عنه؟

وجعل يكلم النبي عليه الصلاة والسلام وكلما كلمه أخذ بلحيته والمغيره بن شعبه عند رأس النبي عليه الصلاة والسلام معه سيفه

وكلما أخذ عروه بلحية النبي ضرب يده بكعب سيفه ليبعدها ويقول آخر يدك عن لحية رسول الله ثم أن عروه رأي حب أصحاب رسول الله له فقال لهم ما رأيت أحدا يحب أحدا مثل حب أصحاب محمد لمحمد وقد عرض عليكم خطة رشد فيها خير لكم فاقبلوها .

تابع عمرة الحديبية

ذكرنا آنفا أن عروة بن مسعود الثقفي نقل لقريش مدي تمسك وحب أصحاب محمد لمحمد قائلا ما رأيت أحدا يعظم أحدا كتعظيم أصحاب محمد لمحمد وحبهم له لدرجة إنه لو تنخم أخذوا تنخمه وتبركوا به وإذا توضأ تقاتلوا علي ماء وضوءه ليتبركوا به وإذا أمرهم أسرعوا لبر أمره وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون به النظر تعظيما له وأري أن تقبلوا ما يعرضه عليكم من صلح وبنود هنا استشاط غضبا شباب قريش الطائش وفكرواان يهاجموا المسلمين حتي يقضوا علي أي محاولة للصلح وفعلا هاجم ثمانون منهم المسلمين من عند جبل التنعيم لكن الصقر محمد بن مسلمه قائد حرس المسلمين إعتقلهم جميعا وعندما أتي بهم للرسول عليه الصلاة والسلام أعتقهم رغبة في الصلح وهنا نزل قوله تعالي " وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (24) الآيه ٢٤ الفتح

هنا قرر رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يبعث عمر بن الخطاب سفيرا له إلي قريش لمن سيدنا عمر قال له يا رسول الله ليس لي أحدا من بني عدي يمنعني من أذاهم لكن أرسل عثمان فإن عشيرته بها ستمنعه من أذاهم فأرسل الرسول صلي الله عليه وسلم عثمان قائلا له بلغهم أنا لم نأت لقتال وإنما جئنا عمارا وادعوهم إلي الإسلام فانطلق سيدنا عثمان حتي أتاهم ببلدح فقالوا أين تريد فقال لهم بعثني رسول الله صلي الله عليه وسلم بكذا وكذا فقام أبان بن سعيد وأردف سيدنا عثمان خلفه علي فرسه وأجاره حتي جاء مكة

وابلغ رسالته لزعماء قريش فلما فرغ من رسالته عرضوا عليه الطواف بالبيت فقال لا حتي يطوف رسول الله عليه الصلاة والسلام واحتبسته قريش عندها للتشاور وطال الإحتباس فشاع بين المسلمين مقتل عثمان وتحرقت عليه زوجته أم كلثوم وكان قد تزوجها بعد موت أختها رقيه وبلغ رسول الله عليه الصلاة والسلام خوف المسلمون معهم ابنته أم كلثوم زوجة عثمان فقال عليه الصلاة والسلام لا نبرح حتي نناجز القوم ثم دعا أصحابه إلي البيعة ألا يفروا حتي الموت أو النصر وبايعه سلمه بن الأكوع علي الموت ثلاث مرات وأخذ رسول الله صلي الله عليه وسلم يد نفسه وقال هذه عن عثمان ولما أتي عثمان بعد ذلك بايعه ولم يتخلف إلا رجل واحد عظيم القريتين جد بن قيس وكان معروفا بنفاقه وهذه البيعة تسمي بيعة الرضوان وكانت تحت شجرة معروفة وكان معقل بن يسار يأخذ بغصن الشجرة فيرفعه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام وفيها نزل قوله تعالي" لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19)

الأيه ١٨، ١٩ من سورة الفتح

ذكرت الآيتان لأنهما لخصتا كل ما جري بالصلح علي أنه فتح وانتصار ومغانم كثيرة للمسلمين وهذا يدل علي شيئين

أولا : بعد نظر الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام

ثانيا : إن هو إلا وحي يوحي بنود الصلح وإبرامه هنا سارعت قريش لإرسال سهيل بن عمرو للصلح وأكدت علي شئ مهم لن يتم الصلح إلا به وهو أن يرجع الرسول صلي الله عليه وسلم عامه هذا

حتي لا تتحدث العرب أنه دخلها عنوه فلما رأي الرسول عليه الصلاة والسلام سهيل قال لقد سهل الله أمركم أرادت قريش الصلح حينما أرسلوا سهيلا فجاء سهيل وتكلم وكانت بنود الصلح كالأتي:-

1 - الرسول صلي الله عليه وسلم يرجع من عامه هذا فلا يدخل مكة وإذا كان العام القابل دخلها المسلمون فأقاموا بها ثلاثا معهم سلاح الراكب اي السيوف في القُرُب ولا يتعرض لهم أحد بأي نوع من أنواع التعرض

2 - وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض

3 - من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه ، وتعتبر القبيله التي تنضم لأي الفريقين جزءا من ذلك الفريق فأي عدوان تتعرض له أي من هذه القبائل يعتبر عدوانا علي ذلك الفريق

4 - من أتي محمدا من قريش من غير إذن وليه أي هاربا منهم رده عليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد أي هاربا منه لم يرد عليه ثم دعا سهيل عليا ليكتب الكتاب فأملي عليه بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اما الرحمن فوالله ما ندري من هو ؟ ولكن أكتب باسمك اللهم فأمر النبي عليه الصلاة والسلام علي بذلك ثم أملي هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن أكتب محمد بن عبد الله فقال إني رسول الله وإن كذبتموني وأمر عليا أن يكتب محمد بن عبد الله ويمحو لفظ رسول الله فأبي علي فمحاها صلي الله عليه وسلم بيده ، ثم تمت كتابة الصحيفه ولما تم الصلح دخلت خزاعه في عهد رسول الله عليه

الصلاة والسلام ودخلت بنو بكر في عهد قريش أما سهيل بن عمرو فقد سار من كبار الصحابة بعد ذلك وبينما الكتاب يكتب إذ جاء أبو جندل بن سهيل يتململ في قيوده قد خرج من أسفل مكة حتي رمي بنفسه بين ظهور المسلمين فقال سهيل هذا اول ما نقاضيك به علي أن ترده فقال النبي انا لم نقض الكتاب بعد والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام يقر ان العقد شريعة المتعاقدين وقريش لم تقر علي هذا العقد بعد اي لم يدخل حيز التنفيذ فرد عليه سهيل والله إذا لا أقاضيك علي شئ أبدا فقال النبي عليه الصلاة والسلام فأجزه لي فقال ما أنا مجيزه لك فقال بلي فافعل فقال ما أنا بفاعل وضرب سهيل أبا جندل بوجهه وأخذه يجره للمشركين وأخذ أبو جندل يصرخ بأعلي صوته يا معشر المسلمين أرد للمشركين يفتنوني في ديني فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم يا ابا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا وانا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا وأعطيناهم علي ذلك وأعطونا عهد الله فلا نغدر بهم ولما فرغ الرسول صلي الله عليه وسلم من كتابة بنود الصلح قال لأصحابه قوموا وانحروا فما قام منهم أحد حتي كررها ثلاث مرات هنا حزن النبي عليه الصلاة والسلام وتغير وجهه ودخل علي زوجته أم سلمة فلما رأت ذلك بوجهه قالت له بعدما ذكر لها ما حدث من الناس قالت له يا رسول الله أتحب أن يفعلوا ؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا كلمه حتي تنحر هديك وتدعو حالقك فيحلق لك رأسك فقام ونحر بدنته وحلق شعره ولم يكلم أحدا فلما رأي المسلمون ذلك سارعوا للنحر والحلق حتي كاد أن يقتل بعضهم بعض غما علي عصيانهم أمر النبي عليه الصلاة والسلام ودعا رسول الله صلي الله عليه وسلم للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة ثم جاءت نسوة مهاجرات فسئل أولياؤهن أن يردهن عليهم رسول الله عليه الصلاة والسلام علي العهد الذي تم فرفض الرسول صلي الله عليه وسلم لإن العهد يقول رجلا ولم يقل إمرأه أي

أن النساء لم تدخل في العهد وهنا نزل قوله تعالي " ا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ "

الآية ١٠ الممتحنه

فكان الرسول صلي الله عليه وسلم يمتحنهن فمن أقرت بشروط الإسلام يقول لها بايعتك دون مصافحة وطلق معظم المسلمون زوجاتهم الكافرات منهم عمر طلق اثنتين

بعد هذا الصلح حزن المسلمون حزنا شديدا وعلي رأسهم ابن الخطاب سيدنا عمر وقال يا رسول الله ألسنا علي حق وهم علي باطل؟ قال : بلي ، فقال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟! قال : بلي فقال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟! ، قال يا ابن الخطاب إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ولن يضيعني أبدا قال أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال: بلي فأخبرتك أنا نأتيه العام ؟ قال: لا ، قال: فإنك آتيه ومطوف به ثم انطلق عمر فأتي أبي بكر فكلمه نفس الكلام فرد عليه أبوبكر كما رد عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وزاد فاستمسك بغرزه حتي تموت فوالله إنه علي حق ثم نزلت سورة الفتح فقرأها الرسول علي عمر فقال يا رسول الله أو فتح هو؟! ، قال: نعم فطابت نفسه ورجع ثم ندم عمر علي ما بدر منه ندما شديدا وقال ما زلت أتصدق وأصوم وأعتق مخافة كلامي الذي تكلمت به

انظر .. " فتح الباري ومسلم وتاريخ عمر لابن الجوزي وزاد المعاد وابن هشام والبدايه والنهايه "

علي رأس هذا الفتح أن قريشا هي التي طلبت تغيير بند المستضعفين أمثال أبو جندل وأبوبصير أبو جندل بن سهيل تعرفون قصته أما أبو بصير كان مستضعفا يعذب في قريش فأفلت منهم وذهب إلي المدينة حتي أتي النبي عليه الصلاة والسلام فأرسلوا اثنين منهم للرسول عليه الصلاة والسلام علي أن يسلمهم أبو بصير علي العهد الذي بينهم فسلمهم أبوبصير لرجلين منهم وفي الطريق قتل أبو بصير أحدهم ثم عاد إلي المدينة فلما شعر بنية النبي عليه الصلاة والسلام في أن يرده إليهم هرب وجمع حوله مجموعه من المستضعفين منهم أبو جندل ابن سهيل واخذوا يهاجمون عير قريش ويكبدونهم خسائر إقتصاديه جمه هنا ناشد أهل قريش الرسول أن يغير المعاهده وأن أي مستضعف يلوذ بالرسول لا يرده إليهم وهذا فتح مبين وواضح وكل بنود صلح الحديبية فتحا مبينا بمنطوق كتاب الله وإن بدا للناظر في البداية أنه غير ذلك لإن الإنسان نظرته ضعيفه ومحدوده وفي العام السابع أسلم أبطال قريش علي رأسهم عمرو بن العاص وسيف الله المسلول خالد بن الوليد وعثمان بن طلحه

ولما اتوا بحضرة المصطفي عليه الصلاة والسلام قال إن مكة قد ألقت إلينا أفلاذ كبدها صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم.

مكاتبة الملوك والأمراء

بعد صلح الحديبية وفي السنة السادسة للهجرة بدأ يفكر النبي عليه الصلاة والسلام في تبليغ الدعوة للملوك والأمراء فهذا الصلح أكد أن المسلمين أصبحوا قوة لا يستهان بها فقال له صحابته إنهم لا يقرأون كتابا إلا وعليه خاتم فاتخذ عليه الصلاة والسلام خاتم له من فضه عليه نقش من ثلاثة سطور بعضها فوق بعض بالسطر الأعلي الله والوسط رسول والسطر الأسفل محمد واختار من أصحابه رسلا لهم معرفة وخبرة وأرسلهم إلي الملوك وفيما يلي نصوص هذه الكتب والملك الموجه إليه

1 - الكتاب الأول الي النجاشي ملك الحبشة بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي النجاشي عظيم الحبشة سلام علي من اتبع الهدي أما بعد فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسي بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلي مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسي من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده وإني أدعو إلي الله وحده لا شريك له والموالاه علي طاعته وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءنى فإني رسول الله صلي الله عليه وسلم وإني أدعوك وجنودك إلي الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبل نصيحتي والسلام علي من اتبع الهدي. (انظر زاد المعاد) حمل هذا الكتاب للنجاشي واسمه أصحمه بن الأبجر حمله عمرو بن أمية الضمري في المحرم سنة سبع من الهجرة ولما أعطي عمرو بن أمية الضمري النجاشي الكتاب أخذه النجاشي ووضعه علي عينه ونزل من سريره وسلم علي جعفر بن ابي طالب وكتب إلي النبي

عليه الصلاة والسلام وهذا نصه بسم الله الرحمن الرحيم إلي محمد رسول الله من النجاشي أصحمه سلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الله الذي لا إله إلا هو أما بعد

فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسي فورب السماء والأرض إن عيسي لا يزيد عما ذكرت تفريقا إنه كما قلت وقد عرفنا ما بعثت به إلينا وقد قرينا بن عمك وأصحابك فأشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت علي يديه لله رب العالمين. (انظر زاد المعاد)

وكان النبي عليه الصلاة والسلام قد طلب من النجاشي أن يرجع ابن عمه جعفر ومن معه من مهاجري الحبشه فأرسلهم إلي النبي بسفينتين معززتين ولما مات النجاشي دعا له الرسول عليه الصلاة والسلام وصلي عليه صلاة الغائب فقد كان ملكا صالحا مسلما.

٢ الكتاب إلي المقوقس ملك مصر. أو جريج بن متي وهذا اسمه ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلي المقوقس عظيم القبط سلام علي من اتبع الهدي أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط (يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ال عمران الايه انظر زاد المعاد لابن القيم

واختار لحمل هذا الكتاب حاطب بن أبي بلتعه فقال له إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الرب الأعلي يقصد فرعون فأخذه الله نكال الآخرة والأولي فاعتبر بغيرك فقال له إن لنا دينا لن نتركه إلا للذي هو خير

منه واخذ كتاب النبي عليه الصلاة والسلام فجعله في حق من عاج وختم عليه ثم دعا كاتب له بالعربيه فكتب إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبيا بقي وكنت أظن أنه يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم وبكسوة وأهديت بغله لتركبها والسلام عليك

(انظر زاد المعاد) والجاريتان مارية وسيرين والبغله دلدل وطبيب وعسل من بنها أما مارية تزوجها الرسول صلي الله عليه وسلم والبغله استعملها ورد الطبيب وسيرين تزوجها حسان بن ثابت.

تابع مكاتبة الملوك والامراء

3 - الكتاب إلي كسرى ملك الفرس بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي كسرى عظيم فارس سلام علي من اتبع الهدي وأمن بالله ورسوله وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسول الله إلي الناس كافة لينذر من كان حيا ويحق القول علي الكافرين فأسلم تسلم فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك. واختار لهذا الكتاب عبد الله بن حذافه السهمي فدفعه لملك البحرين والذي بدوره دفعه لملك الفرس عن طريق أحد رجالاته فلما قرأ الكتاب علي كسري مزقه وقال في غطرسه عبد من رعيتي يكتب اسمه قبلي ولما بلغ ذلك رسول الله عليه الصلاة والسلام قال مزق الله ملكه وكتب كسرى إلي باذان عامله علي اليمن ابعث إلي هذا الرجل يعني رسول الله عليه الصلاة والسلام رجلين من عندك قويين ليأتياني به فاختار باذان رجلين أحدهما اسمه قهرمانه بانويه وكان محاسب يعلم علوم الفرس والثاني خرخسرو من الفرس وبعثهما بكتاب إلي الرسول صلي الله عليه وسلم يأمر بأن يذهب معهم لكسرى ولما وصلا المدينة قالا لرسول الله عليه الصلاة والسلام بعجرفه إن شاهنشاه كسرى أرسل ألي الملك باذان من يأتيه بك وبعثني إليك لتنطلق معي فأمرهنا النبي عليه الصلاة والسلام أن يقابلاه بالغد وفي تلك الأثناء قامت ثورة ضد كسرى بقيادة ولده شيرويه وقتل أبيه وصار ملكا وأخبر الوحي رسول الله عليه الصلاة والسلام فأخبرهما بذلك لما قابلاه وقالا له اكتب لنا ونخبر الملك فقال رسول الله نعم أخبراه ذلك عني وقولا له إن ديني وسلطاني سيبلغ ما

بلغ كسرى وينتهي إلي ما انتهي الخف والحافر وقولا له إن أسلمت أعطيتك ما تحت يدك وملكتك علي قومك من الأبناء

(انظر فتح الباري)

فخرجا من عنده حتي اتيا بآذان باليمن فأخبراه الخبر وبعد قليل جاء باذان بقتل شيرويه لأبيه كسرى وقال شيرويه في كتابه لباذان أنظر الرجل الذى كان قد كتب فيه أبي إليك يقصد رسول الله صلي الله عليه وسلم فلا تهجه حتي يأتيك أمرى وكان هذا الموقف سبب في إسلام باذان ومعه أهل اليمن.

4 - الكتاب إلي قيصر ملك الروم

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلي هرقل عظيم الروم سلام علي من اتبع الهدي ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الاريسيين يا أهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (آل عمران) وحمل الكتاب إلي قيصر دحية الكلبي وأمره أن يدفعه إلي ملك بصري ليدفعه لقيصر فلما وصل الكتاب قيصر أحار دحيه الكلبي وأعطاه مال وكسوه وتعامل معه بموده واحترام علي أثر حديث طويل كان مع أبو سفيان فهم منه أنه نبي لا كذب ، وبالطريق قابل دحيه اناس من جذام قطعوا عليه الطريق واخذوا هدايا وكسوة قيصر فجاء رسول الله قبل أن يدخل بيته فأخبره ما حدث فبعث رسول الله عليه الصلاة والسلام زيد بن حارثه في خمسة مائة رجل إلي جذام فقتل فيهم قتلا شديدا وأخذ نساءهم سبايا وألف بعير وخمسة آلاف شاه ومائه من النساء والصبيان وكان بين جذام والنبي صلى الله عليه

وسلم مهادنه فأسرع احد زعماء جذام وهو زيد بن رفاعه الجذامي بتقديم احتجاج للنبي صلى الله عليه وسلم فقبل النبي الكريم عليه الصلاة والسلام احتجاجه ورد عليه الغنائم والسبايا.

تابع مكاتبة الملوك والامراء

5 - كتاب رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي المنذر بن ساوي حاكم البحرين كان رسول الله عليه الصلاة والسلام قد أرسل إلي حاكم البحرين المنذر بن ساوي كتابا يدعوه فيه إلي الإسلام وحمله إليه علاء بن الحضرمي ورد المنذر قائلا يا رسول الله أني قد قرأت كتابك علي أهل البحرين فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم من كرهه وبأرضي مجوس ويهود فأحدث إلي في ذلك أمرك فكتب إليه رسول الله صلي الله عليه وسلم ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي المنذر بن ساوى سلام عليم فإني أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أما بعد

فإني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح لنفسه وإنه من يطيع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وإن رسلى قد أثنوا عليك خيرا وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام علي يهودية أو مجوسية فعليه الجزيه.

6 - كتاب رسول الله عليه الصلاة والسلام إلي هوذه بن علي حاكم اليمامة

وكتب النبي كتابه إلي هوذه بن علي حاكم اليمامة وحمله سليط بن عمرو العامري ما نصه

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي هوذه بن علي سلام علي من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر إلي منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل لك ما تحت يديك.

ولما دخل سليط بن عمرو بالكتاب علي هوذه حياة وانزله وقرأ عليه الكتاب فرد عليه وكتب إلي النبي عليه الصلاة والسلام ما أحسن ما تدعوا إليه واجمله ، والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر اتبعك وأعطى سليطا جائزة وخلع عليه أثوابا من نسج هجر.

فقدم سليط بكل هذا الي النبي عليه الصلاة والسلام فأخبره وقرأ النبي عليه الصلاة والسلام كتابه وقال لو سألني قطعة من الأرض ما فعلت باد وباد ما في يديه فلما انصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم من الفتح جاءه جبريل وأخبره أن هوذه مات فقال النبي عليه الصلاة والسلام أما إن اليمامة سيخرج منها كذاب يتنبى يقتل بعدي فقال قائل يا رسول الله من يقتله فقال أنت وأصحابك فكان ما حدث بعد ذلك

7 - كتاب النبي عليه الصلاة والسلام إلي حارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلي الحارث بن أبي شمر سلام علي من اتبع الهدى وأمن بالله وصدق وإني أدعوك إلي أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقي لك ملكك. وحمل هذا الكتاب شجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمة ولما أبلغه الكتاب رمى به وقال من ينزع ملكي مني ؟ أنا سائر إليه ولم يسلم واستأذن قيصر في حرب رسول الله عليه الصلاة والسلام فثناه عن عزمه فأعطي الحارث شجاع بن وهب حامل الكتاب كسوة ونفقة ورده بالحسنى

8 - كتاب النبي إلي ملك عمان جيفر وأخيه عبد الجلندى ما نصه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الي جيفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام أسلما تسلما فإني رسول الله صلي الله عليه وسلم إلي الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول علي الكافرين فإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي علي ملككما. حمل هذا الكتاب إليهما عمرو بن العاص رضي الله عنه ولما قدم عمان قابل الأخ الأصغر أولا عبد الجلندي وكان حليما عن أخيه جيفر وأمره أن يذهب لأخيه فذهب لجيفر وبعد أن بات هناك أكثر من ليلة وشد وجذب هداه الله للإسلام مع أخيه علي أن يبقي ملكهما الشاهد في كل هذه الرسائل للملوك والأمراء إنها كانت تحمل صفة الليونه والحكمة والموعظة الحسنة خالية من الشدة والفظاظة (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) الآية (وادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنه وجادلهم بالتي هي أحسن) الآية

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم اتبع في كل حياته بالدعوة إلي الله منهج اللين خاصة مع الملوك والأمراء لحديثه عليه الصلاة والسلام أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ولقوله تعالي (إذهبا إلي فرعون إنه طغي فقولا له قولا لينا) الايه فصلي الله عليه وسلم كان في دعوته علي خلق عظيم وأقرب إلي اللين فجزاه الله عنا خير الجزاء فقد ارسله الله رحمة للعالمين

غزوة خيبر

خيبر كانت مدينة ذات حصون وذات زروع ونخيل تقع علي بعد حوالى مئة كيلو متر تقريبا شمال المدينة المنورة وعندما فرغ رسول الله من الصلح مع أكبر قوه مناوئة له وهي قريش عبر صلح الحديبية قرر أن يتحصل علي باقي الغنائم تحقيقا لقوله تعالي " وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آَيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (20) الفتح الآية ٢٠

ويقصد هذه الحديبية وكثيرة خيبر وغيرها ولا ننسى أن خيبر هى من اتصلت بالأحزاب وألبتهم علي المسلمين وأعدت خطة لإغتيال النبي عليه الصلاة والسلام لذلك قرر النبي عليه الصلاة والسلام أن يعد الجيش لخيبر ليس به المنافقين ولا ضعفاء الإيمان ولما أعلن ألا يخرج معه إلا راغب في الإيمان خرج معه أصحاب الشجرة وهم ألف وأربعة مائة مقاتل واستعمل على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى ولحق الجيش أبو ذر الغفارى بعدما وصل المدينة مسلما فى هذه الأثناء قام المنافقون كعادتهم وعلى رأسهم ابن سلول بالإتصال بيهود خيبر قائلا لهم إن محمدا توجه إليكم فاثبتوا ولا تخافوا منه فإن عددكم وعدتكم أكثر منهم وهم شرذمة قليلون وعندما سلك الرسول صلي الله عليه الطريق إلي خيبر عبر جبل عصر ونزل بواد إسمه الرجيع سمعت غطفان همهمة الجيش وكانت بطريقها إلي خيبر فخافت علي أنفسها وأولادها ورجعت وخلوا بين الجيش المسلم وخيبر وبالطريق ليلا قال رجل لشاعر يسمى عامر أسمعنا يا عامر من هنيهاتك أي أشعارك وحدائك فقال عامر اللهم لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا

صلينا فاغفر فداء لك ما اقتفينا وثبت الأقدام إن لاقينا فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام من هذا الحادى قالوا عامر بن الأكوع قال يرحمه الله قال رجل من القوم وجبت يا نبي الله لولا أمتعتنا به وكانوا يعرفون ما خص رسول الله صلي الله عليه وسلم أحد بالإستغفار إلا نال الشهادة ولما دنا الرسول صلي الله عليه وسلم خيبر دعا وقال اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأراضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر أهلها وشر ما فيها أقدموا بسم الله ... (انظر سيرة بن هشام) وبات الجيش ليلته قريبا من خيبر وبعد أن صلى الفجر تحرك نحو خيبر فلما رأوه يهود خيبر وهم خارجون لمزارعهم قالوا محمدا ومعه الجيش ورجعوا لحصونهم هاربين فقال النبي عليه الصلاة والسلام الله أكبر خربت خيبر ، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين .... (صحيح البخارى)

وخيبر كانت منقسمة لشطرين شطر به خمسة حصون ، حصن ناعم وحصن الصعب بن معاذ وحصن ابى وقلعة الزبير وشطر آخر به ثلاث حصون حصن القموص وحصن الوطيح وحصن السلالم

تابع غزوة خيبر

بعد أن اختار الرسول صلي الله عليه وسلم مكانا للجيش أمام أحد حصون خيبر وكان هدفا سهلا ليهود خيبر أشارعليه أحد الصحابة أن يختار مكانا آخر وفعل الرسول صلي الله عليه وسلم واختار مكان اقل خطرا وبعد مناوشات ، وفر وكر ، أنام حصن ناعم أكبر حصون خيبر قال النبى صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه ، فلما أصبح الغد تزاحم الناس على رسول الله عليه الصلاة والسلام الكل يريد هذا الشرف لكن الرسول صلي الله عليه وسلم قال أين على بن ابى طالب؟! فقالوا يا رسول الله يشتكى على عينيه قال أرسلوا إليه فأتى به فبصق الرسول صلي الله عليه وسلم في عينيه فبرأتا ودعا له واعطاه الراية فقال يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم أدعهم للإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم .... (انظر صحيح البخارى)

أما اليهود لما رأوا الجيش تحصنوا بحصن ناعم وخرج سيدهم مرحب صاحب الحصن وانشد شعرا قد علمت خيبر أنى مرحب شاكى السلاح بطل مجرب إذا الحروب أقبلت تلهب ثم قال هل من مبارز فبرز له عامر بن الأكوع قائلا قد علمت خيبر أنى عامر شاكى السلاح بطل مغامر فاختلفا ضربتين واستشهد عامر كما دعا له الرسول عليه الصلاة والسلام من قبل فقال مرحب هل من مبارز فبرز له سيدنا على وانشد يقول

أنا الذى سمتنى أمى حيدره

كليث غابات كريه المنظــره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

فشد الأسد على على مرحب فقطع عنقه وكانت بداية الفتح ثم برز ياسر أخو مرحب وبرز له الزبير فقاله واستمر القتال ايام حتى انهار اليهود وتحولوا الى حصن الصعب واستولى المسلمون على حصن ناعم أحد اكبر حصونهم

ثم اتجه المسلمون لحصن الصعب وهو الحصن الثانى من حيث القوة والمنعة لكن بعد أن دعا الرسول صلي الله عليه وسلم الله أن يفتح عليهم أكثر الحصون منعه وأكثرها طعاما ودكا أي دسم اللحم قام المسلمون بالهجوم عليه وحاصروه ثلاثة أيام تحت قيادة الحباب بن المنذر حتى استسلم من بالحصن وتحولوا لحصن قلعةالزبير وصعوبة قلعة الزبير إنه برأس جبل والوصول إليه صعب فلما علم المسلمون أنهم ينزلون أسفل الجبل للحصول على الماء من عيونهم وأخبرهم بذلك أحد اليهود قطعوا عنهم الماء فخرجوا وقاتلوا قتالا شديدا قتل فيه نفر من المسلمين وأصيب عشرة من اليهود وافتتحه رسول الله صلي الله عليه وسلم

ثم تحول اليهود لقلعة أبى وتحصنوا فيها وقاتلهم المسلمون بقيادة أبو دجانة حتى انهزموا ، وتحولوا لآخر حصونهم بالشطر الأول وهو حصن النزار وهذا الحصن كان شديد المنعة لأنه كان على رأس جبل ولأن اليهود كانت متأكدة أن المسلمون لن يستطيعوا اختراق هذا الحصن لذلك جعلوا فيهم نسائهم وأولادهم وأخذوا يرشقون المسلمين بالحجاره والسهام ولكن المسلمون ضربوا الحصن

بالمجانيق فأخذت جدران الحصن تتهدم وهاجمها المسلمون ودار قتال عنيف وأسروا الرجال وسبوا الناس ومن تبقى من يهود تحولوا للشطر الثانى من حصون خيبر وآخر حصن تمترس فيه اليهود كان حصن القموص حصن أبى بن الحقيق وحصن الوطيح والسلالم وتمترس اليهود بهذه الحصون بقوه لمدة أربعة عشر يوما لا يخرجون هنا قرر النبى صلى الله عليه وسلم ان ينصب المنجنيق لضرب الحصن فلما رأى اليهود ذلك طلبوا الصلح وتم الصلح على أن يترك الرجال أموالهم وسلاحهم ويخرجون بذريتهم فقط ويتركون الأرض والسلاح والمال ولا يكتمون شيئا عن المسلمين ويخرجون بثوبهم فقط هنا قام أبى بن الحقيق بإخفاء كنز له كبير فاعترف عليه بن عم كنانه فكان عقاب إبنى أبي القتل لخيانتهما العهد وسبى المسلمون صفية بنت حيي بن أخطب كبير اليهود وكانت عروس حديثة عهد لكنانة بن أبى الحقيق وأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يجلى اليهود من خيبر فقالوا يا محمد دعنا نكون بهذه الأرض نزرعها فنحن أعلم بها منكم فوافق الرسول على أن يأخذوا نصف خراجها وللمسلمين النصف وكان خير خيبر وافر من التمور خاصة وعن عائشة قالت: لما فتحت خيبر قلنا الآن نشبع من التمر وهذه هي المغانم الكثيرة التي وعد الله المسلمين إياها ذكرنا آنفا ان السيدة صفية بنت حيي بن أخطب زوجة كنانة بن الحقيق أنها كانت من بين السبايا ووقعت بسهم دحية الكلبي أحد الصحابه لكن أحد المسلمين قال له يا نبى الله أعطيت دحية صفية وهي ابنة ملك لا تصلح إلا لك فقال ادعوه بها فلما رأها قال له خذ غيرها من السبى ودعاها للإسلام فاسلمت وعرض عليها الزواج فوافقت فاعتقها وجعل عتقها صداقها وتزوجها فلما دخل بها الرسول صلي الله عليه وسلم قالت يا رسول الله رأيت كأن قمرا زال من مكانه ووقع بحجرى فقصصتها على زوجى كنانه فلطمنى وقال تتمنين ملك المدينة يقصد النبى صلى الله

عليه وسلم ولما اطمئن النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر أهدت له زينب بنت الحارث زوجة مشكم بن سلام شاة الى رسول الله عليه الصلاة والسلام وسألت اى جزء يحب ان يأكله قالوا لها الذراع فزودت به السم ثم سممت باقى الشاه ثم لاك الرسول قطعه فلم يستطع أن يبتلعها وقال إن هذا العظم ليخبرنى إنه مسموم ما دفعك لذلك قالت قلت إن كان ملكا استرحنا منه وإن كان نبيا فسيخبره الله فعفا عنها ولكن قتلت قصاصا بعد ذلك لموت الصحابى بشر بن البراء بعد أن أكل من الشاة ثم أخذ الرسول صلي الله عليه وسلم في العودة الى المدينة بعد أن فتح الله عليهم بخيبر أكثر المغازى مغانم وبركه.

غزوة ذات الرقاع وعمرة القضاء

من المعروف أن المسلمين كانوا يجابهون بثلاث قوى رئيسية الأولى قريش بمكة وتم تحيدها تماما وكسر شوكتها عن طريق صلح الحديبية وما سبقها من غزوات أما القوة الثانية فكانت اليهود حول وداخل المدينة وتم القضاء عليها وختامها كان خيبر خير ختام أما القوة الثالثة الباقية وهى أشبه بشئ هلامى وحرب عصابات هم البدو الضاربين بصحراء نجد حول المدينة كانوا أشبه بالعصابات التى تهدد أمن المدينة ولما علم الرسول صلي الله عليه وسلم باجتماعهم خارج المدينه للسطو عليها قرر أن يغزوهم في سبعة مائه من أصحابه واستعمل على المدينة ابو ذر الغفارى وتوغل بديارهم حتى وصل مكان يقال له نخل على مسيرة يومين من المدينة فلقى جمعا من غطفان من بنى محارب وبنى ثعلبة فتقاربوا وخاف بعضهم من بعض دون قتال وصلى بهم رسول الله صلي الله عليه وسلم صلاة الخوف أربع ركعات للمسلمين وركعتين للقوم .. (انظر صحيح البخارى)

وعن سبب التسمية ذات الرقاع جاء بالبخاري أن ابا موسى الأشعرى خرج مع الرسول عليه الصلاة والسلام ومعه ستة نفر كانوا يعتقبون بعيرا واحدا فدميت أقدامهم وخلعت أظفارهم وكانوا يربطون عليها بالخرق فسميت ذات الرقاع ... (صحيح البخارى) ويذكر بهذه الغزوة أن رسول الله عليه الصلاة والسلام استظل تحت ظل شجرة وعلق سيفه بينما هو نائم أخذه أعرابى من المشركين وقال لرسول الله عليه الصلاة والسلام هل أنت خائف قال لا فقال ما يمنعك مني قال الله فسقط السيف من يد الرجل فأخذه الرسول صلي الله عليه وسلم

وقال له ما يمنعك منى قال عفوك يا محمد كن خير أخذ قال تشهد أن لا إله الا الله وأنى رسول الله قال أعاهدك على ألا أقاتلك ولا أكن مع قوم يقاتلونك فخلى رسول الله صلي الله عليه وسلم سبيله فأتى قومه وقال لهم جئتكم من عند خير الناس ... (انظر فتح البارى)

وبرواية أخرى جاء أنه أسلم وكان لهذه الغزوة أثرا كبيرا في ردع هؤلاء البدو حول المدينة وساد المنطقة الأمن والسلام وبدأ المسلمون يتفرغون لفتح الممالك الكبرى كالروم وفارس ورجع الرسول عليه الصلاة والسلام منتصرا إلى المدينة سنة ٧ هجرية وبدأ يبعث بالسرايا حول المدينة وخارجها حتي استتب الأمن ودانت جميع القبائل

عمرة القضاء

لما جاء ذو القعدة موعد عمرة القضاء نتاج بنود صلح الحديبية من العام الماضى أمر الرسول عليه الصلاة والسلام أن يخرج للعمرة من شهد صلح الحديبية فخرجوا ومعهم آخرون في ألفين ما عدا النساء والصبيان واستخلف الرسول عليه الصلاة والسلام على المدينة أبا رهم الغفاري وساق معه ستين بدنة وأحرم من ذى الحليفة ولبى ، ولبى معه المسلمون وخرج بالسلاح مستعدا للقتال خشية غدر قريش فلما بلغ يأجج وضع السلاح كله بمخزن ووضع عليه أوس بن خولى الأنصارى ومعه مئتا رجل للحراسة ودخل وأصحابه بسلاح الراكب السيوف بالقُرُب تنفيذا لبنود الصلح الأنفه وأمر النبى المسلمين أن يرملوا بالطواف حتى تظهر قوتهم أمام المشركين فلما رأى المشركين قوتهم قالوا: هل هم هؤلاء الذين زعمتم أن حمي المدينة أهلكتهم وقالوا هؤلاء إجلدوا أقوى منا ولما فرغ الرسول عليه الصلاة والسلام من الطواف ثم السعى أوقف الهدي عند المروة وقال هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر فنحر ونحر معه الصحابه وذهبت مجموعة منهم لحراسة السلاح وأتى من لم يؤد العمره فأداها وأقام النبي بمكة ثلاث ليال فلما كان اليوم الرابع أتى المشركون عليا وقالوا له: قل لصاحبك يخرج عنا فخرج النبي عليه الصلاة والسلام وأقام بسرف خارج مكة وهنا لابد أن نذكر زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة ميمونة بنت الحارث العامرية التى كانت تتمنى الزواج بالنبى أخت أم الفضل زوجة العباس عم النبي عليه الصلاة والسلام وكانت من عائلة محبة لله ورسوله وقال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم إن الأخوات لمؤمنات ويقصد ميمونة بنت الحارث وأم الفضل زوجة العباس وأخت ميمونة وسلمى زوجة حمزة بن عبد المطلب وأختها

أسماء بنت عميس زوجة مصعب بن عمير وميمونة نزل فيها قوله تعالى " وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى " صدق الله العظيم والمرأة المشار إليها بالآية الكريمة هى ميمونة ابنة الحارث آخر زوجات النبي عليه الصلاة والسلام وذهبت السيدة ميمونة للنبي صلى الله عليه وسلم بسرف خارج مكة فلما رأها النبى صلى الله عليه وسلم وهى راكبة على البعير قالت البعير وما عليه لله ورسوله وتم الزواج الميمون بسرف وقال لها الرسول إن هذا المكان عند موتك ستدفنين فيه وفعلا عادت من المدينة بعد ذلك ودفنت بسرف

وبعد أن انهى النبى صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء أو الصلح توجه إلى المدينة

وبدأ يرسل بعض السرايا إلى بعض القبائل المحيطة بالمدينة حتي استتب الأمر تماما للمسلمين بالمدينة وبدأوا في التفكير خارج المدينة وعلي رأسها معركة مؤته

معركة مؤتة

هذه المعركة هى من أكبر المعارك التى خاضها المسلمون خارج أرضهم فمؤته بلدة تقع بأدنى الشام وليست ببعيد عن بيت المقدس وهذه المعركة كانت فى جمادى الأولى سنة ٨ هجرية وتعتبر مقدمة لفتوحات بلاد النصارى وسبب المعركة أن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث الحارث بن عمير الأزدى برسالة إلى عظيم بصرى يدعوه فيها الى الإسلام فتعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى وكان عاملا على البلقاء بالشام من قبل قيصر فوثقه بالحبال وقتله ـ وكان قتل الرسل بمثابة إعلان حرب ـ وفعلا جهز الرسول صلي الله عليه وسلم فورا جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل وهو أكبر جيش بعد غزوة الأحزاب (انظر فتح البارى)

وأمر الرسول صلي الله عليه وسلم على هذا الجيش زيد بن حارثة ثم قال إن قتل زيد فجعفر ، وان قتل جعفر فعبد الله بن رواحه ، ودفع اللواء لزيد بن حارثه وكان أبيضا وأوصاهم أن يأتوا مقتل الحارث بن عمير وأن يدعوا الناس للإسلام فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم ، وقاتلوهم ، وقال اغزوا بسم الله في سبيل الله ، من كفر بالله لا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، ولا امرأة ، ولا كبيرا فانيا ، ولا منعزلا بصومعه ، ولا تقطعوا نخلا ولا شجرة ، ولا تهدموا بناء (انظر صحيح مسلم)

وخرج الجيش وخرج معهم رسول الله عليه الصلاة والسلام وودعهم عند ثنية الوداع ودعا لهم تحرك الجيش في اتجاه الشمال حتى نزل معان من أرض الشام ونقلت استخبارات الجيش أن هرقل نزل أرض البلقاء بالشام فى مائة ألف مقاتل انضم إليهم مائة أخرى

من أهل الشام لم يكن المسلمون قد أدخلوا في حساباتهم هذا العدد الكبير من جيش الروم لذلك جلسوا فى معان ليلتين يتشاورون وقرروا أن يرسلوا لرسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأن يخبروه بأمرهم فإما أن يمدهم بمدد وإما أن يأمرهم بأمر فيستجيبون ولكن عبد الله بن رواحه عارضهم قائلا: يا قوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد أو قوة أو كثرة ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فإنها إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة واستقر الرأى على رأى بن رواحه وتحرك الجيش حتى استقر بمؤته وجعل على الميمنة قتبة بن قتادة وعلى الميسرة العذرى والميسرة عبادة بن مالك الأنصارى وبدأت المعركة الغير متكافئة ثلاثة آلاف مقاتل مسلما قبالة مئتى ألف مقاتل من الروم وأهل الشام أخذ الراية زيد بن حارثة وجعل يقاتل بضراوة وشجاعه فظل يقاتل حتى امتلأ جسده الطاهر بسهام ورماح العدو وخر شهيدا ثم أخذ الراية جعفر بن أبى طالب أو جعفر الطيار وأخذ يقاتل قتالا شديدا وعقر فرسه وقاتل القوم بضراوة فقطعت يده اليمنى فأخذ الراية باليسرى فقطعت يده اليسرى فاحتضن الراية بعضديه فلما رفع الراية أتاه جندى من الروم فقسم جسده نصفين ونال الشهادة وكافأه الله مكان يديه جناحين يطير بهما في الجنه ويتنقل فى عرساتها حيث يشاء لذلك سمى جعفر الطيار وأخذ الراية عبد الله بن رواحه وحدثته نفسه ببعض التردد فأخذ ينشد أقسمت يا نفس لتنزلنه كارهة أو لتطاوعنه إن أجلب الناس وشدوا الرنه مالى أراك تكرهين الجنة ثم نزل وناوله ابن عم له عظمه بها لحم فأخذ منها قطعة بأسنانه ثم رماها وشد على العدو وقاتل بضراوة حتي قتل شهيدا وهنا كانت الراية من نصيب سيف الله المسلول داهية الحروب إنه خالد بن الوليد وما أدراك ما خالد لم يهزم قط في جاهليه ولا إسلام هنا كان جبريل عليه السلام ينقل المعركة للنبى عليه الصلاة والسلام أولا بأول ،

فقال : أخذ الراية زيد فأصيب ، ثم أخذها جعفر فأصيب ، ثم أخذ عبد الله بن رواحه فأصيب ، وعيناه تذرفان حتى أخذ الراية سيف من سيف الله حتى فتح الله عليهم (انظر صحيح البخارى)

هنا تجلت عبقرية خالد فكر كيف يقوم بخدعة تنقلب لصالحه وتلقى الرعب في قلوب مئتى ألف مقاتل عند صباح اليوم الثانى غير ترتيب الجيش رأسا على عقب فجعل مقدمته ساقه ومينته ميسره وأخذ يتراجع قليلا ، قليلا ، مع حفظ ترتيب ونظام الجيش فدب الرعب في قلوب الروم وقالوا فى أنفسهم إن الجيش الإسلامى يستدرجهم للصحراء بعيدا وأكيد أنهم على موعد مع مدد آت لهم من المدينة فرجعوا لديارهم خائفين وبدأ الداهية خالد فى التأخر رويدا، رويدا ، حتى وصل المدينة منتصرا لم يفقد من جيشه سوى اثنتى عشرة رجلا فقط ، أما الرومان مات منهم الكثير

وأثر هذه المعركه كان كبيرا جدا خاصة فى القبائل العربيه المحيطة بالمدينة فكيف لقوة صغيرة صاعدة كالمسلمين تجابه أكبر وأعتى قوة - آن ذاك - الروم لذلك جنحت معظم هذه القبائل للإسلام مثل أشجع وبنو سليم وغطفان وغيرها

فتح مكة

- 1 -

لعل من أهم محطات مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجلها قاطبة هى غزوة فتح مكة كيف لا وقد أعزه الله على من أخرجوه من أحب بلاد الله عليه وهى مكة واستخلص بهذه الغزوة الله سبحانه بيته الحرام من براثن الشرك وعبادة الأوثان وأشرقت الأرض بنور النبوه ولنعد سويا لسبب الغزوه فلو راجعنا صلح الحديبية المبارك كان من بنوده حرية العقيدة فمن أحب أن يدخل فى دين الله دخل فيه ، ومن أحب أن يبقى في دين قريش بقى فيه ، وأن القبيلة التى تدخل لأحد الفريقين تعتبر جزء منه لا يجوز العدوان عليه ولما كانت قبيلة خزاعة جانحة للإسلام ودخلت فى عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فقد أضحى الدفاع عنها واجبا وكانت بين خزاعة وبين قبيلة بنو بكر عداوة وبنو بكر اختاروا قريشا ودخلت بعهدها هنا استغل بنو بكر الهدنة وأرادوا أن يأخذوا ثأرهم أيام الجاهلية من خزاعة فأغاروا على خزاعة ليلا وقتلوا فيهم الكثير وحرقوا ديارهم وقريش أمدتهم بالسلاح فى نقض سافر لبنود الحديبية وحازوا خزاعة إلى الحرم هنا قالت بنوبكر لقائدهم نوفل بن معاوية الديلي يا نوفل إنا قد دخلنا الحرم إلهك ، إلهك .. فقال: لا إله اليوم يا بنى بكر أصيبوا ثأركم لعمرى إنكم لتسرقون بالحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه؟ ولما دخلت خزاعة مكة لجأوا لدار بديل بن ورقاء الخزاعى ودار مولاهم رافع هنا أسرع عمرو بن سالم الخزاعى إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم بالمدينة وقال بين يديه هذه الأبيات يارب

إنى ناشد محمدا

حلفنا وحلف أبيه الأتلدا

قد كنتم ولدا وكنا والدا

ثمة أسلمنا ولم ننزع يدا

فانصر هداك الله نصرا أبدا

وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قد تجردا

أبيض مثل البدر يسمو صُعدا

إن قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكدا

وقتلونا ركعا وسجدا

فقال له رسول الإنسانية عليه الصلاة والسلام نصرت يا عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من خزاعه حتى قدموا رسول الله عليه الصلاة والسلام فاخبروه الخبر هنا تحرك الداهية أبو سفيان إلى المدينة حتى يثنى الأسود عن التحرك لكن الرسول صلي الله عليه وسلم أن يعلم ما يدور بخلد أبو سفيان فقال لصحابته: كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد ويزيد في المدة

وخرج أبو سفيان فلقى بالطريق بديلا الخزاعى فسأله هل كنت عند محمد فأنكر بديل فأخذ بعرة من أثار باعر بديل ففركها بيديه فإذا بها نوى من تمر المدينة ففهم أنه كان عند الرسول صلي الله عليه وسلم فقدم على ابنته أم حبيبة زوجة خير البرية وأراد أن يجلس على فراش الرسول صلي الله عليه وسلم فطوته عنه فقال يا بنيه أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله عليه الصلاة والسلام وأنت رجل مشرك نجس فقال: والله لقد أصابك بعدي شر ثم خرج وكلم رسول الله عليه الصلاة والسلام فلم يجبه بشئ ثم أتى أبى بكر أن يكلم الرسول عليه الصلاة والسلام فقال: ما أنا بفاعل فأتى عمر فقال أنا أشفع لكم عند رسول الله صلي الله عليه وسلم والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدكم به ثم دخل على على فقال: له ويحك يا أبا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرا ما نستطيع أن نكلمه فيه فلما سقط بيده قال يا على أشر على فقال: والله ما أعلم شيئا يغنى عنك لكن أنت سيد بنى كنانه فأجر بين الناس ثم ألحق بأرضك فقال هل هذا مغنيا عنى ؟! قال: لا .. لكن لم أجد لك غير ذلك فقام أبو سفيان في المسجد وقال أيها الناس إنى قد أجرت بين الناس ثم ركب بعيره وانطلق إلى مكة ولما قدم قريشا قالوا له: ما وراءك قال جئت محمدا فكلمته فما رد على !! وجئت أبى بكر وعمر ، كذلك ووجدت عليا ألين القوم ، فنصحنى أن أجير الناس فقالوا : هل أجاز لك محمدا ؟! قال: لا ... قالوا: يلعب بك الرجل ، قال: ما وجدت غير ذلك هنا الرسول صلي الله عليه وسلم قد أخبره الوحى قبل نقض العهد بثلاثة أيام فأمر عائشة أن تجهزه دون علم أحد ففعلت ولما جاء الخبر بعد ثلاثة أيام وعلم الناس أمرهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بالتجهز للغزو إلى مكة ودعا وقال: اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها

وزيادة في الإخفاء بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم سرية قوامها ثمانية رجال تحت قيادة أبى قتاده الربعى إلى بطن إضم عكس السير إلى مكة حتي يظن الناس أنه متجه لتلك الناحية ولما وصلت إلى ذلك المكان أرسل إليها أن تلحقه إلى مكة فصارت إليه ولحقته

هنا حدث مع هذه السرية حدث غاية في الأهمية يحتاح وقفة قوية فقد قابلت هذه السرية عامر بن الأضبط ربما كان على الشرك لكنه ألقى عليهم السلام فقتله محلم بن جثامة وأخذ بعيره ومتاعه لشئ شخصى كان بينه وبينه فنزل قوله تعالى

" ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا " الآيه

ثم جاءوا بمحلم ليستغفر له رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال: اللهم لا تغفر له (ثلاثا) من شدة حزن الرسول لكن يقولون إنه استغفر له بعد ذلك وهنا لنا وقفه - نحن لسنا مسؤلين عن التفتيش بنا في قلوب الناس لنا الظاهر فقط ويجب ألا نخلط الدعوة إلى الله بثأر لنا شخصى ، إغضبوا لله ، وادعوا إلي الله بالحكمة والموعظة الحسنة وهناك أحاديث كثيره تؤكد أنه من قتل ذميا فقد برئت منه زمة رسول الإنسانية عليه الصلاة والسلام - وفى الطريق إلى مكة حدثت حادثة أخرى أيضا تصرف بشرى ضعيف فالصحابى حاطب ابن أبى بلتعه له أهل وولد في قريش فخاف عليهم فأراد أن يخطب ود قريش فأرسل مع امرأه مسافرة لمكة أى ظعينة كتابا إلى قريش فأخفته بقرون شعرها فجاء الوحى الرسول فأخبره خبرها ومكانها فارسل الرسول عليه الصلاة والسلام عليا والزبير والمقداد وأبو مرثد الغنوى وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب لقريش فانطلقوا حتى رأوا المرأة بنفس المكان فقالوا معك كتاب فقالت ما معى كتاب ففتشوا رحلها فلم يجدوا شيئا فقال لها على فى حدة أقسم

بالله ما كذب رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا كذبنا والله لتخرجن الكتاب او لنجردنك فلما رأت الجد منهم قالت لهم وخروا واستخرجت الكتاب من قرون شعرها ودفعته إليهم فأخذوا الكتاب وأتوا رسول الله عليه الصلاة والسلام فإذا فيه " من حاطب بن أبى بلتعه إلي قريش فأتوا بحاطب فقال والله يا رسول الله إنى رجل مؤمن وأحب الله ورسوله لكن لى أولاد وأهل بقريش وليس لى منعه خفت عليهم فأردت أن اخطب ودهم ويكون لى عندهم يدا تحمى أولادي فقال عمر يا رسول الله أضرب عنقه؟! فقال له: إنه قد شهد بدرا وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فاغرورقت عينا عمر بالدموع وقال الله ورسوله اعلم

هنا اخذ الجيش يتحرك صوب مكة وقريش ليس عندها خبر تحرك بتاريخ ١٠ رمضان السنة الثامنة من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فى عشرة الاف مقاتل واستخلف على المدينة أبا رهم الغفارى ولما كان بالجحفه لقيه عمه العباس بن عبد المطلب وكان قد خرج بعياله مسلما مهاجرا ثم لقيه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث وابن عمته عبد الله بن أبى أمية بالأبواء فاعرض عنهما لشدة ما لاقاه من عشيرته فقالت له صاحبة الآراء السديدة السيدة أم سلمه رضى الله عنها لا يكن بن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك وقال على لأبى سفيان بن الحارث أئت رسول الله صلي الله عليه وسلم من قبل وجهه وقل كما قال اخوة يوسف ليوسف " قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) سورة يوسف الايه ٩١

ففعل ذلك فرد معلم البشرية كيفية التسامح " قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92) " سورة يوسف الآية ٩٢

ضرب رسول الله عليه الصلاة والسلام أكبر مثل فى العفو والصفح وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ولولا خوفى من الإطالة عليكم لما توقفت فى النهل من هذا المنهل الطيب ففتح مكة يضرب الكثير من الأمثلة في الوفاء والتسامح فهو يوم الوفاء ويوم العزة والكرامة لأى مسلم على وجه البسيطة

فتح مكة - 2 -

واصل الرسول صلي الله عليه وسلم والجيش معه سيره وهم صائمون حتى وصل مكان يدعى عسفان وقديد على ماء يسمى الكديد على بعد أميال من مكه فأفطر وأفطر الناس معه ثم واصل سيره حتى وصل مر الزهران أو وادى فاطمة وهو وادى من أكبر أودية المملكة به عيون ماء كثيرة ويسمى الآن محافظة الجموم به مسجد الفتح الذي صلى به الرسول صلي الله عليه وسلم وقت فتح مكة يبعد عن مكه ٢٩ كيلومتر تقريبا نزله الرسول عليه الصلاة والسلام عشاء فأمر النبى فاوقدوا نيران فأوقد الجيش عشرة آلاف نار وجعل قائد الحرس الفاروق عمر رضي الله عنه هنا ركب سيدنا العباس عم الرسول عليه الصلاة والسلام بغلة الرسول البيضاء وخرج يلتمس حطبا لكن واصل حتى مكة فلما قرب من مكة سمع حديث دار بين أبى سفيان وبديل بن ورقاء ومعهم حكيم بن حزام فقال أبو سفيان لما رأى النار والله ما رأيت مثل هذه النار قط فرد عليه بديل هذه والله خزاعة خمشتها الحرب فقال أبو سفيان خذاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها أو هذا عسكرها قال العباس فعرفت صوته فناديت أبا حنظلة فقال نعم وعرفنى فقال أبا الفضل قلت نعم قال مالك فداك أبى وأمى قلت هذا رسول الله ومعه الجيش قال فما الحيلة فداك أبى وأمى قلت والله لإن ظفر بك ليقتلنك فاركب خلفى على هذه البغلة حتى أتى بك رسول الله عليه الصلاة والسلام فاستأمنه لك فركب ورجع بديل وحكيم فمر سيدنا العباس على نيران المسلمين وكلما مر سألوه فيقول العباس فيمر فلما أتى سيدنا عمر قال من قال العباس قال وخلفك عدو الله أبو سفيان الحمد لله الذى أمكن منك وركب بغلته وأسرع إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم فلما وصل أخذ يلح على رسول الله

صلي الله عليه وسلم في قتل أبو سفيان فقال له العباس مهلا يا عمر لو كان أحدا من بنى عدى ما قلت هذا فرد عمر رد الواثق من الحق مهلا يا عباس فوالله لإسلامك كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم وما بى إلا أننى عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام من إسلام بن الخطاب الله عليك يا عمر الآن يا عمر علمنا أن رسول الله أحب إليك من نفسك وقبيلتك؟! فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام اذهب يا عباس إلى رحلك وإذا أصبحت فأتنى به فلما أصبح جاء به رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال ما أحلمك وأكرمك وأوصلك لو أعلم أن مع الله إله غيره لأغنى عنى شيئا قال صلى الله عليه وسلم ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله فقال بأبى أنت وأمى ما أحلمك وأوصلك أما هذه ففي النفس منها شئ فقال ويحك أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك فأسلم وشهد شهادة الإسلام قال العباس يا رسول الله إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئا فقال نعم من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن وفى أثناء مغادرة الجيش مر الظهران أو وادي فاطمة أو الجموم إلى مكة كان أبو سفيان يسأل عن الجيش والعباس يجيب حتى وصل إلى الرسول صلي الله عليه وسلم وحوله المهاجرين والأنصار لا يرى منهم سوى عيونهم من كثرة الدروع والحديد عليهم فقال أبوسفيان من هؤلاء قال العباس رسول الله عليه الصلاة والسلام ومعه المهاجرين والأنصار فقال ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقه ثم أردف قائلا والله يا أبا الفضل لقد أصبح

ملك ابن أخيك اليوم عظيما قال يا أبا سفيان إنها النبوه قال فنعم إذن

فتح مكة - 3 -

بينما الجيش الإسلامى فى طريقه إلى مكة قال العباس لأبى سفيان النجاء إلى قومك فأسرع أبو سفيان إلى مكة وأخذ يصيح يا معشر قريش هذا محمد قد أتاكم بما لا قبل لكم به فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن فقامت له زوجته هند بنت عتبة وأخذت بشاربه وقالت اقتلوا الحميت الدسم أى السمين الأخمش الساقين أى محترق الساقين قُبح من طليعة قوم قال أبو سفيان ويلكم لا تغرنكم هذه فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به من دخل دار أبى سفيان فهو آمن قالوا وما تغنى عنا دارك قال من دخل داره وأغلق عليه بابه فهو أمن ومن دخل المسجد فهو آمن فدخل الناس بيوتهم ودخلوا المسجد وتجمع بعض سفهاء قريش على رأسهم عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وحماس بن قيس صانع الأسلحة اجتمعوا بالخندمة لمحاربة الجيش الإسلامى أما رسول الله عليه الصلاة والسلام فقد جعل على ميمنة الجيش خالد بن الوليد ومعه قبائل أسلم وسليم ومزينه وغفار وجهينة وأمره أن يدخل مكة من أسفلها وعلى الميسره الزبير بن العوام وكانت معه راية الرسول صلي الله عليه وسلم وأمره أن يدخل مكه من أعلاها وأن يغرز رايته بالحجون وينتظر قدوم الرسول صلي الله عليه وسلم وشد خالد على سفهاء قريش بالخندمة فأصاب منهم إثنى عشرة رجلا وفر حماس بن قيس إلى بيته وقال لزوجته اغلقى على بابى فقالت وأين كلامك عن الحرب فأنشد يقول:

أنك لو شهدت يوم الخندمه

إذ فر صفوان وفر عكرمه

واستقبلتنا بالسيوف المسلمه

يقطعن كل ساعد وجمجمه

لم تنطقى في اللوم ادنى كلمه

ووافى خالد رسول الله صلي الله عليه وسلم عند الصفا أما الزبير فوصل الحجون ورفع الراية عند مسجد الفتح وضرب هناك قبه لرسول الله عليه الصلاة والسلام ولم يبرح مكانه حتى جاءه هنا دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم المسجد راكبا دابته واستلم الحجر الأسود

وأخذ يطوف طواف التحية لإنه لم يكن محرما وكان معه قوس يطعن به الأصنام حول البيت التى تربو على ثلاثة مائة وستون صنما وهو يقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا والأصنام تتساقط على وجوهها ثم دعا عثمان ابن طلحة أن يأتيه بمفتاح الكعبة بعد أن فرغ من الطواف فأمر بها ففتحت فدخل ووجد صور لسيدنا إبراهيم ومعه إسماعيل وهما يستقسمان بالأزلام فقال كذبتم ما استقسم بها أبدا ومزقت الصور وحمامة من عيدان كسرها ثم أغلق باب الكعبة ومعه على وأسامه وبلال وصلى ودار بالبيت وأخذ يكبر ويهلل ثم فتح الباب وقريش أسفله متراصه صفوفا ينتظرون ما يفعل بهم فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده الا كل مأثرة أو مال أو دم فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتل الخطأ شبه العمد السوط والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها ثم قال يا معشر قريش ما ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخو كريم وابن أخ كريم قال فإنى أقول لكم كما قال يوسف لإخوته لا تثريب

عليكم اليوم إذهبوا فأنتم الطلقاء ثم جلس رسول الله عليه الصلاة والسلام فى المسجد فقام إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم ومفتاح الكعبة فى يده فقال يا رسول الله إجمع لنا الحجابه مع السقايه صلى الله عليك فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام اين عثمان بن طلحة فجاء فقال له: هاك مفتاحك يا عثمان اليوم يوم بر ووفاء خذوها خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف وحان موعد الصلاة فأمر رسول الله عليه الصلاة والسلام بلال إن يعتلى الكعبة ويؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبه فقال عتاب لقد أكرم الله اسيدا ألا يكون سمع هذا يقصد بلال فيسمع منه ما يغيظه فقال الحارث أما والله لو علم أنه الحق لاتبعه فقال أبو سفيان أما والله لا أقول شيئا لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصباء فخرج عليهم الرسول عليه الصلاة والسلام وقال قد علمت الذى قلتم وذكر ذلك لهم فقال الحارث وعتاب نشهد إنك رسول الله والله ما كان معنا أحدا آخر نقول أخبرك ثم دخل رسول الله صلي الله عليه وسلم دار أم هانئ ابنة أبى طالب وأخت على فاغتسل وصلى ثمانى ركعات صلاة الشكر وأجارت أم هانئ حموين لها فقال: قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ومنع على من قتلهما بعد أن قامت بوضعهما بحجرة وأغلقت عليهم وأهدر النبى صلى الله عليه وسلم دماء تسعة من قريش وأمر بقتلهم وإن وجدوا معلقين بأستار الكعبة وهم عبدالعزى بن خطل وعبد الله بن ابى السرح وعكرمة بن ابى جهل والحارث بن نفيل ومقيس بن صبابة وهبار بن الأسود وعازفتان كانتا لابن خطل كانتا تهجوان النبى صلى الله عليه وسلم وساره حاملة كتاب حاطب بن أبى بلتعه أما ابن أبى السرح فشفع فيه عثمان وحقن دمه وأما عكرمه ففر إلي اليمن وأسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وابن خطل كان متعلقا بأستار الكعبه وقتل ومقيس قتله نميله بن عبدالله

وأما الحارث كان شديد الأذى للنبى عليه الصلاة و السلام فقتله على أما هبار بن الأسود الذى نخس ناقة السيدة زينب وهى مهاجرة للمدينة فسقطت وفقدت جنينها فر يوم مكة وأسلم وحسن إسلامه وأما المغنيتان إحداهما قتلت والأخرى أسلمت وأسلمت ساره حاملة كتاب حاطب وممن أهدر دمه أيضا الشاعر كعب بن زهير وقصته مشهورة فى مدح الرسول صلي الله عليه وسلم فبدأ وقال بانت سعاد فقلبى اليوم متبول إلى أن وصل لتلك الأبيات فقلت خلوا سبيلى لا أبا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول نُبئت أن رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول عفا عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام وحسن إسلامه ونكتفى بهذا القدر

فتح مكة - 4 -

بعد أن فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم مكه ودانت له وللمسلمين بعد سنوات طويلة من الحرب بدأ يرسى بها مبادئ حرمة البيت الحرام وفى اليوم الثانى من الفتح قام فى الناس خطيبا حيث قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض فهى حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة فلا يحل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الأخر أن يسفك فيها دما أو يعضد بها شجرة فإن أحد ترخص لقتال رسول الله صلي الله عليه وسلم فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم وإنما حلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ الشاهد الغائب ولما دانت مكة لرسول الله عليه الصلاة والسلام خاف الأنصار أهل المدينة فقالوا فيما بينهم أترون رسول الله عليه الصلاة والسلام اذ فتح الله عليه أرضه وبلده أن يقيم بها ورسول الله عليه الصلاة والسلام يدعو على جبل الصفا رافعا يديه فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم ؟ قالوا

لا شئ يا رسول الله فلم يزل بهم حتى أخبروه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم الله الله على وفائك يا رسول الله وفتح مكه يوم بر ووفاء هنا تبين لأهل مكة الحق وعلموا أن لا سبيل للعيش الكريم إلا فى ظل الإسلام فأذعنوا عن رضا لرسول الله عليه الصلاة والسلام واجتمعوا لبيعته على جبل الصفا وعمر بن الخطاب اسفل الجبل يأخذ على الناس ويدفعهم لبيعة النبى ولما فرغ من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء على الصفا وعمر أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه فجاءت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان متنكره خوفا من رسول الله عليه الصلاة والسلام إن يعرفها لسئ صنيعها بعمه حمزة فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام

أبايعكن على ألا تشركن بالله شيئا فبايع عمر النساء على ألا يشركن بالله شيئا فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا تسرقن فقالت هند أن أبا سفيان رجل شحيح فإن أنا أصبت من ماله هنات؟ فقال أبو سفيان وما أصبت فهو لك حلال فضحك رسول الله صلي الله عليه وسلم وعرفها وقال وانك لهند ؟

قالت نعم فاعف عنا سلف يا نبى الله عفا الله عنك

فقال ولا يزنين فقالت هند متعجبة أو تزنى الحرة ؟!

فقال ولا يقتلن أولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتوهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة قتل يوم بدر هنا ضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلي الله عليه وسلم قال ولا يأتين ببهتان قالت هند والله إن البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك ولما رجعت بيتها أخذت تكسر صنمها وتقول كنا منك فى غرور ثم أتت رسول الله عليه الصلاة والسلام وقالت يا رسول ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك ثم أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أخب إلى أن يعزوا من أهل خبائك قال وأيضا والذى نفسى بيده وقالت يا رسول الله إن أبا سفيان رجل مسيك فهل على حرج أن أطعم من الذى له عيالنا؟ قال : لا أراه إلا بالمعروف (انظر صحيح البخارى وفتح البارى)

وأقام الرسول صلي الله عليه وسلم بمكة تسعة عشرة يوما يجدد معالم الإسلام ويرشد الناس للهدى والتقى وأرسل سراياه للدعوة إلى الإسلام وتكسير الأوثان التى كانت حول مكة وأرسل منادى من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدع ببيته صنما إلا كسره

هذا بعد أن كسر بحبه الشرك بالقلوب قبل كسر الأوثان وأشرقت الأرض بنور ربها وبحب نبيها وانتشر النور من مكة إلى جميع أرجاء المعمورة مناديا لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك

غزوة حنين

مما لاشك فيه أن فتح مكة كان نصرا وعزا قويا للإسلام ودعوته وقد دانت للإسلام بعده معظم القبائل بالجزيرة العربية إلا أن هناك بعض القبائل القوية المتغطرسة رفضت الإذعان مثل قبائل هوازن وثقيف وانضمت إليها بطون من قيس عيلان مثل نصر وجشم وسعد بن بكر وبنى هلال أخذتها العزة بالإثم وأبوا الإستسلام فاجتمعوا عند مالك بن عوف النصرى وقرروا حرب المسلمين وقرر مالك بن عوف أن يتحرك بهم ومعهم أموالهم من الإبل والأغنام ونساءهم وذراريهم حتى لا يفكروا فى التراجع وسار بهم حتى نزل أوطاس قرب حنين وبين حنين ومكة بضعة كيلومترات من جهة عرفات ومنى واجتمع الناس بأوطاس وفيهم دريد بن الصمة وهو فارس ومجرب شجاع وحكيم لكنه وقتها كان طاعنا فى السن تعدى المئة عام من عمره فقال دريد بأى واد انتم؟ قالوا بأوطاس قال نعم مجال الخيل لا حزن ضرس أى جبال وحجاره ولا سهل دهس أى أرض لينة تسوخ فيها أقدام الخيول فقال مالى اسمع بكاء الصبى ورغاء البعير ونهاق الحمير وثغاء الشاة! فقالوا أوامر مالك بن عوف فسأله لما فعلت ذلك قال له أردت أن أجعل خلف كل رجل ماله وأهله ليقاتل عنهم فقال ساخرا راعى ضأن والله وهل يرد المنهزم شئ؟ إنها إن كانت لك لن ينفعك إلا رجل برمحه وسيفه وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ولنا جائت أخبارهم للنبى عليه الصلاة و السلام غادر من مكة يوم السبت السادس من شوال سنة ٨ هجريه يوافق اليوم التاسع عشر من دخوله مكة وخرج فى اثنى عشرة الفا من المسلمين عشرة كانوا معه من المدينة واثنين ممن أسلموا من أهل مكة واستعار مئة درع من صفوان بن أمية واستعمل على مكة عتاب بن أسيد وعشية الحرب

جاءه فارس فقال أتت هوازن عن بكرة أبيها بظعنهم ونعمهم وشائهم فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال تللك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله وصل الجيش الإسلامى حنين الأربعاء لعشر خلون من شوال وكان مالك بن عوف قد سبقهم هناك وأدخل جيشه بالوادى وفرق أكمنة فى الطرق والمداخل وأمرهم ان رأوا جيش المسلمين يشدوا عليهم بالنبل شدة رجل واحد وبالسحر عبأ الرسول عليه الصلاة والسلام جيشه ووزع الألوية والرايات ، وفى ظلام الصبح استقبل المسلمون وادى حنين واذ هم يدخلون أمطروا بالنبال والسهام وشد عليهم العدو شدة رجل واحد فانتشر المسلمون راجعين لا يلوى أحد على أحد وهزموا هزيمة شديدة هنا انحاز النبى صلى الله عليه وسلم جهة اليمين ينادى ويقول هلم إلى أيها الناس أنا رسول الله أنا محمد بن عبدالله ولم يثبت معه سوى ثمانين من المهاجرين والأنصار وهنا ظهرت شجاعة النبى صلى الله عليه وسلم وأخذ يشد على بغلته فى اتجاه الكفار وهو يقول: أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب، ثم دعا الله اللهم أنزل نصرك وأمر الرسول عليه الصلاة والسلام عمه العباس وكان جهير الصوت أن ينادى الصحابة قال العباس فقلت بأعلى صوتى أين أصحاب السَمُرَة؟ قال والله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك حتى أتى منهم مائة وقاتلوا العدو وانتهت الدعوة إلى الأنصار يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار وتلاحقت كتائب المسلمين واحدة تلو الأخرى وحمى وطيس المعركة هنا أخذ رسول الله عليه الصلاة والسلام قبضة من التراب فرمى وجوه العدو وقال شاهت الوجوه فما تركت القبضة أحد إلا غبرت عينه وبعد ساعات قلائل انهزم العدو هزيمة منكرة وفرت طائفة منهم للطائف وطائفة لوادى نخله وأخرى لأوطاس وانهزم جيش المشركين وقتل دريد بن الصمة وبدأ المسلمون فى جمع الغنائم وكان السبى ستة آلاف بين رجل وإمرأه وذرارى والإبل أربعة

وعشرون ألفا وأربعين الف شاة وأربعة آلاف أوقية فضة أمر الرسول صلي الله عليه وسلم بجمعها وحبسها بالجعرانة قريب من مكة وجعل عليها مسعود بن عمرو الغفارى ولم يقسمها حتى فرغ من غزوة الطائف

غزوة الطائف

لا تعتبر غزوة الطائف منفصلة عن غزوة حنين بل هى امتداد لها لأن معظم فلول هوازن وثقيف لما هزموا دخلوا الطائف بقيادة قائدهم مالك بن عوف النصرى وتحصنوا بها فسار إليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم بعد جمع الغنائم وإيداعها بالجعرانة بمكة فى شهر شوال سنة ٨ هجريه وكان قائد الجيش خالد بن الوليد على رأس ألف مقاتل ثم نفذ رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى الطائف عن طريق وادى نخله وقرن المنازل وهدم حصن لمالك بن عوف وعسكر هناك بجوار حصن تحصن به فلولهم وضرب عليه الحصار ودام الحصار أكثر من خمسة عشرة يوما وكانوا يرمون المسلمين بالنبل رميا شديدا كسرب جراد فقتلوا منهم إثنى عشر رجلا فاضطر المسلمون إلى ترك أماكنهم جوار الحصن وتأخروا إلى مكان أبعد قليلا وهو مسجد الطائف اليوم ونصب المسلمون المنجنيق وضربوا الحصن وأحدثوا شرخا بأحد جدرانه فدخل نفر من المسلمين تحت دبابة صنعت من خشب ليحرقوا الحصن لكن من بالحصن أطلقوا عليهم سكك حديد محميه بالنار فخرجوا من تحتها وأمر النبى صلى الله عليه وسلم مناديا فنادى أيما عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر فخرج إليهم ثلاثة وعشرين رجلا فأعتقهم رسول الله عليه الصلاة والسلام ودفعهم للمسلمين ليمونوهم بالغذاء والمال وشق هذا على من كان داخل الحصن ولما كان أهل الحصن قد أخذوا معهم من العتاد والغذاء ما يكفيهم عام كامل استشار النبى صلى الله عليه وسلم نوفل بن معاوية الديلى فقال له : هم ثعلب بجحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لن يضرك عندها أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بفك الحصار والرحيل فنادى عمر فى الناس: إنا قافلون غدا إن شاء الله

فغضب الناس وقالوا نذهب فنفتحه فقال لهم رسول الله عليه الصلاة والسلام إغدوا على القتال فغدوا فأصابهم جراح فقال إنا قافلون غدا إن شاء الله فسروا بذلك وأذعنوا وأخذوا يرحلون ورسول الله عليه الصلاة والسلام يضحك (انظر فتح البارى)

ولما ارتحلوا قال لهم قولوا آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون وقالوا يا رسول الله ادعوا على ثقيف فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم ولما عاد الرسول صلي الله عليه وسلم إلى الجعرانة حيث الغنائم مكث هناك أكثر من عشر ليال لا يقسم الغنائم ويتأنى أملا إن يأتى وفد ثقيف وهوازن من حصنهم تائبين فيحزوا ما فقدوا ما هذا السمو يا رسول الإنسانية حقا إنك لعلى خلق عظيم ورحمة للعالمين لكنه لم يجئه أحد فبدأ يقسم الغنائم وبدأ بالمال فبدأ بالمؤلفة قلوبهم من رؤساء مكة وأهلها لإنهم حديثى عهد بالإسلام فبدأ بأبى سفيان بن حرب أعطاه أربعين أوقية ومائة من الإبل فقال ابنى يزيد فأعطاه مثلها فقال: ابنى معاوية فأعطاه مثلها وأعطى حكيم بن حزام مائة من الابل ثم سأله ثانية فأعطاه مائة أخرى ثم أعطى الحارث بن كلده وأعطى معظم سادة قريش فشاع بين الناس إن محمدا يعطى عطاء من لا يخش فقرا فازدحم عليه الأعراب يريدون مالا وغنائما حتى اضطروه عليه الصلاة والسلام إلى شجرة فانتزعت ردائه فقال أيها الناس ردوا على ردائي فو الذى نفسي بيده لو كان عندى عدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذابا ثم قام إلى فأخذ من سنام بعيره وبرة وقال أيها الناس والله مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم ثم استكمل توزيع باقى الغنائم هنا وجدت الأنصار على رسول الله صلي الله عليه وسلم لإنها لم تفهم حكمته مع المؤلفة قلوبهم فقالوا لقى رسول الله عليه الصلاة والسلام قومه فدخل عليه سعد بن عبادة قائلا يا رسول الله إن هذا الحى من

الأنصار قد وجدوا عليك فى أنفسهم لما صنعت فى هذا الفئ الذى أصبت قسمت فى قومك وأعطيت عطايا عظام فى قبائل العرب ولم يكن فى هذا الحى من الأنصار منها شئ قال فأين أنت من ذلك يا سعد؟ قال يا رسول الله ما أنا إلا من قومى قال فاجمع لى قومك بهذه الحظيرة فخرج سعد ونادى على الأنصار وجمعهم فأتاهم رسول الله صلي الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا معشر الأنصار مقالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها على فى أنفسكم ؟ ألم أتكم ضلالا فهداكم الله ؟ وعالة فأغناكم الله؟ وأعداء فألف الله بين قلوبكم؟ قالوا بلى ولله ورسوله الفضل والمنة ثم قال ألا تجيبونى يا معشر الأنصار؟ قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ قال أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم ولصدقتم أتيتنا مُكَذبا فصدقناك ومخذولا فنصرناك وطريدا فأويناك وعائلا فأسيناك أوجدتم يا معشر الأنصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن تذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله صلي الله عليه وسلم الى رحالكم؟ فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت إمرء من الأنصار ولو سلك الناس شعبا وسلكت الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضينا برسول الله عليه الصلاة والسلام قسما وحظا وهم يبكون وبعد توزيع الغنائم أقبل وفد هوازن مسلما اربعة عشر رجلا يرأسهم زهير بن صرد وفيهم أبو برقان عم رسول الله عليه الصلاة والسلام من الرضاعه وبعد إسلامهم طلبوا من رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يتكلم مع المسلمين لرد السبايا من الخالات والعمات والأخوات والأمهات حتى لا يعيروا بهم فعرض الرسول على المسلمين منهم من رحب بإطلاقهم ومن من رفض أول الأمر لكن جلهم بعد ذلك أرجع السبايا لذويهم ولما فرغ الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من تقسيم الغنائم بالجعرانة أهل

منها للعمرة ثم ولى على مكة عتاب بن أسيد ثم رجع إلى المدينة مع الأنصار فقد وعدهم المحيا محياهم والممات مماتهم وكانت فرحة الأنصار برجوع رسول الله صلي الله عليه وسلم معهم لا تعدلها فرحة وكانت العودة للمدينة بتاريخ ٢٣ ذى القعدة سنة ٨ هجريه ليتم الفصل الأخير من جهاده صلى الله عليه وسلم بمدينته المنورة

غزوة تبوك آخر الغزوات

عندما نعد بالذاكرة للخلف قليلا ونتذكر معركة مؤته التى كانت بين جيش الروم وجيش المسلمين وكيف أن الحيله التى قام بها خالد بن الوليد صدرت الرعب لجيش الروم ففر منسحبا أمام المسلمين هنا قرر قيصر الروم هرقل فى الإنتقام من المسلمين بأعداد جيش قوامه أربعون ألفا وأعطى قيادته لأكبر قواده وكان معه قبائل لخم وجذام من العرب ووصل الجيش إلى البلقاء من الشام هنا المسلمون يترقبون ليل نهار اخبار هذا الجيش وساورهم القلق وأخذوا يستعدون لتكوين جيش يلاقى جيش الروم خارج المدينة إلا أن المنافقون كان لهم رأيا أخرا فكانوا يلتقون بمسجد سمى مسجد الضرار حتى يعلموا كل شئ عن جيش الروم ويرسلون إليه الأخبار ويضللون المسلمين لذلك الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام رفض الصلاة بهذا المسجد بعد عودته والوقت كان قيظا فى هذه الأثناء والطريق وعرة والعتاد قليل هنا فتح النبى طريق أمام القادرين من المؤمنين لتكوين وتموين هذا الجيش بعتاده وعدته حتى أنه سمى بعد ذلك بجيش العسره لقلة عتاده وعدته فكان كل ثمانية عشرة رجل يعتقبون بعير واحد وكانوا يذبحون الإبل كى يشربوا ما ببطونها من ماء وعندما أعلن الرسول صلي الله عليه وسلم التهيؤ للقتال وتجهيز الجيش توافد إليه المسلمون من شتى القبائل ولم يتخلف أحد إلا الذين فى قلوبهم مرض وثلاثة نفر ذكرهم القرآن وكان بعضهم يأتى النبى صلى الله عليه وسلم فيردهم ويقول لهم " وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ (92) ٩٢ التوبة

وهنا تسابق المسلمون فى تجهيز الجيش وانفاق المال فهذا هو أبوبكر يتصدق بماله كله وعمر بنصف ماله وعبدالرحمن بن عوف بمئتى أوقيه فضه وجاء العباس بمال كثير وجاء طلحه ومحمد بن مسلمه وسعد بن عباده بمال كثير والنساء كن يتبرعن بما يمتلكن من حلى ذهب أو فضة قليل أو كثير حتى كان يسخر منهم المنافقون فنزل قوله تعالى " الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (79) " التوبة ٧٩

أما الذى قام بنصيب الأسد في تجهيز جيش العسرة هو سيدنا عثمان بن عفان جهز مئتا بعير بأقتابها وأحلاسها ومئتا أوقية ذهب تصدق بها ثم تصدق بمئة بعير بأحلاسها وأقتابها ثم جاء بألف دينار فألقاها بحجر الرسول عليه الصلاة والسلام فكان رسول الله يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ثم تصدق حتى بلغ إجمالى صدقته تسعمائة بعير ومائة فرس غير النقود وهكذا تم تجهيز الجيش واستعد النبى صلى الله عليه وسلم للخروج حتى يلاقى جيش الروم خارج المدينة ووضع على المدينة سباع بن عرفطة وترك على أهله على بن أبى طالب فتكلم عنه المنافقون فلحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فرده وقال له ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدي وتحرك النبى بجيش عرمرم قوامه ثلاثون ألفا لكنه كان فقير التجهيز وتوجه صوب تبوك ومر بالحجر ديار ثمود أو وادى القرى فاستقى الناس من بئرها فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تشربوا من مائها ولا تتوضأوا منه للصلاة وما كان من عجين عجنتموه منها فاعلفوه الإبل ولا تأكلوا منه شيئا وأمرهم أن يستقوا من البئر التى كانت تشرب منه ناقة صالح وأمرهم ألا يدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين

ثم قنع رأسه عليه أفضل الصلاة والسلام وأسرع السير حتى جاز الوادى (أنظر البخارى والترمذى)

واشتدت حاجة الجيش للماء فدعا الرسول صلي الله عليه وسلم الله فنزلت سحابة على الجيش فارتوى الجميع وحملوا حاجتهم من الماء .

غزوة تبوك آخر الغزوات

- 2 -

ولما قرب الجيش من تبوك قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لهم إنكم ستأتون غدا إن شاء الله تعالى عين تبوك وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من ماءها شيئا حتى أتى قال معاذ فجئنا وقد سبق إليها رجلان والعين تبض بشئ من مائها فسألهما الرسول عليه الصلاة والسلام هل مسستما من مائها شيئا ؟ قالا نعم فعاتبهما ثم غرف من العين قليلا حتى اجتمع الوشل أى ماء العين القليلة ثم غسل رسول الله عليه الصلاة والسلام وجهه ويده ثم أعاده فى العين فجرت العين بناء كثير فاستقى الجيش كله ولا تزال تجرى ثم قال يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا (رواه مسلم)

نزل الجيش الإسلامى تبوك وعسكر هناك استعدادا للقاء الرومان وقام الرسول صلي الله عليه وسلم فيهم خطيبا ورفع من معنويات الجيش وبشرهم بالنصر أما المعسكر الأخر الرومان وحلفائهم لما سمعوا بزحف رسول الله عليه الصلاة والسلام أصابهم الرعب وخافوا اللقاء وتفرقوا بالمدن داخل حدود الدولة الرومانية فصب هذا فى صالح المسلمين وحصلوا على مكاسب كثيرة أفضل من مقابلتهم العدو وشاعت بين الناس مقدار قوة المسلمين فبدأوا ينزلون على شروط رسول الله صلي الله عليه وسلم فهذا يوحنا بن رؤبة صاحب أيله صالح الرسول عليه الصلاة والسلام وأعطاه الجزية وأيضا اهل أذرح وجرباء أعطوه الجزية وصالحه أهل ميناء على ربع

ثمارهم وأرسل رسول الله عليه الصلاة والسلام سيف الله المسلول خالد على رأس اربع مائة وعشرون مقاتل إلى أكيدر كبير دومة الجندل وقال له ستجده يصطاد البقر فأتاه خالد عند حصنه وإذا بقرة قريبة من الحصن تحك باب القصر بقرونها فخرج اكيدر لصيدها وكانت ليلة مقمرة فقابله خالد وجنوده فأخذه وجاء به للرسول عليه الصلاة والسلام فحقن دمه وصالحه على ألفى بعير وثمانمائة رأس من الغنم وأربعمائة درع ورمح وأقر بالجزية وظل أميرا لدومة الجندل هنا أيقنت القبائل التى كانت توالى الرومان أن شوكة الرومان كسرت فأصبحت توالى المسلمين وهذا نصر مبين من عند الله بلا قتال هنا رجع الجيش المظفر للمدينة وقابله أهل المدينة بالنشيد القديم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا لله داع وكان هذا فى رجب سنة٩ هجرية واستغرقت هذه الغزوة خمسين يوما منها عشرون يوما بتبوك وثلاثون يوما بالطريق ذهاب وعوده وكانت هذه آخر غزوات النبى صلى الله عليه وسلم وسورة التوبة أو برائه بها الكثير من الآيات حول تلك الغزوة فعند رجوع الرسول عليه الصلاة والسلام من تبوك هم إثنا عشر رجلا من المنافقين لقتل رسول الله صلي الله عليه وسلم فكشفهم الله سبحانه بقوله تعالى " يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (74) وكانت اختبارا شديدا للمؤمنين ونزل فى ذلك قوله تعالى " مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) آل عمران اية ١٧٩

فقد خرج مع رسول الله عليه الصلاة والسلام كل مؤمن صادق حتى صار التخلف علامة من علامات النفاق إلا ثلاثة نفر من المؤمنين صادقين تخلفوا بلا عذر وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ولم يكذبوا فأمر رسول الله صلي الله عليه وسلم بمقاطعتهم وتنكر لهم الناس حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وبعد أربعين يوما أمر رسول الله عليه الصلاة والسلام أن يفارقوا زوجاتهم وبعدها نزل قوله تعالى " وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118) الاية ١١٨ التوبة

فبشر رسول الله صلي الله عليه وسلم السيدة أم سلمة فاستأذنت رسول الله عليه الصلاة والسلام أن ترسل إليهم من يبشرهم فأذن لها فأرسلت اليهم من يبشرهم وكانت قبل ذلك بشرت أبا لبابه وهناك من حبسهم العذر فنزل فيهم قوله تعالى "لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (91)

الاية ٩١ التوبة

وقال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم إن بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم العذر قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال وهم بالمدينة وكان لهذه الغزوة الأثر الكبير فى حياة الدعوة والمسلمين فبعدها استتب الأمر تماما للمسلمين وبدأت الوفود تنهال على المدينة من كل حدب وصوب لتقر بالدين الحديد وتدخل تحت عباءة الإسلام والمسلمين

الشمائل المحمدية

لم تشهد البشرية نبى كامل الصفات الخلقية والخُلُقية مثل النبى محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان جميع الرسل كاملى الخلق والخلق ولا نفرق بينهم فرسول الله عليه الصلاة والسلام شهد له الأعداء فرغم خلافهم معه كانوا يطلقون عليه الصادق الأمين وكانوا يستودعون أماناتهم عنده وعند فتح مكة قالت عنه هند لقد امتلك القلوب والأفئدة قبل أن يمتلك البيوت والجدران وكان أبغض الناس لقلبى فوالله لا يوجد على ظهر الأرض اليوم أحب إلى منه وكذا لسان حال كل أهل مكة وكل من أمن به واتبعه وليس هناك مثال يضرب فى التواضع أكثر من دخوله مكة فى فتح مكه خافضا رأسه وهو فوق دابته حتى أن لحيته الشريفه كادت تلامس رحل الدابة من شدة تواضعه ولقد وصفه المولى عز وجل بحسن الخلق فقال فيه وانك لعلى خلق عظيم أما عن جمال الخِلقَةَ فها هى ام معبد الخزاعيه تصفه لنا عندما حل بخيمتها وهو بطريقه للهجرة وسوف نترك أم معبد تصف رسول الله صلي الله عليه وسلم بنفسها تقول لزوجها إنه ظاهر الوضاءة أى مشرق الوجه جميل أبلج الوجه من شدة الإشراق حسن الخُلُق لم تعبه ثُجلَةً أى كبر البطن ولم تُزر به صعلة أى لم يعبه صغر رأسه أى ليست صغيرة رأسه لتعيبه وسيم قسيم أى حسن جميل فى عينيه دعج أى شدة سواد العين وفى أشفاره وطف أى طويل الرموش وفى صوته صهل أى بحة يسيره وجميلة وفى عنقه سطع أى طول الرقبه أحور أى شديد بياض العين وشديد سوادهما أكحل أزج أى متقوس الحاجبين أقرن أى ملتقى الحاجبين بين العينين شديد سواد الشعر إذا صمت علاه الوقار وإن تكلم علاه البهاء أجمل الناس وأبهاهم من بعيد وأحسنهم وأحلاهم من قريب حلو المنطق فضل لا

نزر لا هذر لا قليل الكلام ولا كثير الكلام كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن أى يخرج الكلام من فمه كالؤلؤ المنظوم ربعة أى لا طويل فارع ولا قصير ظاهر لا تقحمه عين من قصر ولا تشنئوه من طول غصن بين غصنين فهو أنظر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون به إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا لأمره محفود أى الذى يخدمه أصحابه ويسارعون لإمتثال أمره محشود أى الذي يحتشد إليه الناس لا عابس ولا مفند أى لا يستقل بعقل أحد ويكمل فى وصفه صلى الله عليه وسلم سيدنا على فيقول إذا مشى تقلع كأنما يمشى في صبب وإذا التفت التفت معا بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين

أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رأه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله صلي الله عليه وسلم وقال أنس بن مالك كان بسط الكفين أزهر اللون قبض وليس فى شعره ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقال البراء بن عازب كان أحسن الناس وجها وأحسنهم خُلُقا وقالت الربيع بنت المعوذ لو رايته رأيت الشمس طالعة وقال جابر بن سمرة رأيته فى ليلة مقمره فجعلت أنظر إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وانظر للقمر وهو فى خلة حمراء فاذا هو عندى أحسن من القمر وقال أبو هريرة ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله عليه الصلاة والسلام كأن الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت احدا أسرع فى مشيته من الرسول صلي الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له وكان إذا غضب احمر وجهه كأنما فقئ فى وجنتيه خب رمان وقال عمر كان من أحسن الناس ثغرا قال بن عباس كان أفلج الثنيتين واذا تكلم رؤى كالنور يخرج من بين ثناياه وقال أنس ما مسست حريرا ولا ديباجا الين من كف رسول الله صلي الله عليه وسلم وما شممت عنبرا أو مسكا ولا شيئا أطيب من ريح أو

عرف رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالت أم سليم كان عرقه من أطيب الطيب كأنه در منثور وأختم بهذه الأبيات ألفها العبد لله حبا فى رسول الله عليه الصلاة والسلام وأبيض مليح الوجه مقصدا يستسقى الغمام بوجهه وبالحق مؤيدا وسيم أدعج العينين وشعر الجفن وافرا كحيل العين أسود الشعر مرسلا محفود محشود الكل يحبه ما كان مفندا أزهر اللون شعر اللحية والرأس قليل الأبيضا أبيض الوجه كأن شمسا غاب عنها المغربا وسيم حليم فصيح صهل صوته كذا وصفته أم معبدا إذا رأيته أحببته يشهد له الأصحاب والعدا أفلج الثنيتين يخرج منها النور كعارض بالشمس لامعا وبياض عنقه يبدو للعين كاللجين ساطعا يمشى هونا ويخطو تكفيا كأنه ينحدر من علا سهل الخدين أزج الحاجبين طوله وسطا فصيح اللسان بليغ الكلام سهل لمن يسمعا اوتى جوامع الكلم وروائع الحكم معا عرقه كأنه لؤلؤ يندر فوق جبينه متساقطا رائحته ضوع مسك يملأ الحو عبقا ما خير بين شيئين إلا أختار الأسهلا وعن خلقه وصفه الله باعظم خلقا حليم يعفوا إذا قدر صبور أدبه ربه نعم المؤدب والمؤدبا صفات عظيمه ما كانت فى انسان غيره ولا حوتها كتبا لم يسأله أحد إلا أعطاه مسألته ما رده خائبا فأحبه الناس بكل جوارحها وكان لهم خير رسول ونعم أبا فصلى الله عليك وسلم يا علم الهدى ما طار طائر أو ظل بلبل فوق الايك مغردا عدد ما ذكره الذاكرون وكل منشد فى حبه منشدا نشهد إنك اديت الامانة وبلغت الرسالة ولك علينا اكرم يدا عفوا يا رسول الله أنى تجرأت على وصفك وما من عمل ارتقى به أو نسبا

صلى الله عليه وسلم ملك القلوب بحسن الخلق وكان يحمل هم هذه الأمه ويقول يارب أمتى أمتى وصلي الله عليه وسلم ماترك خير إلا دلنا عليه ولا شر إلا حذرنا منه فاللهم اهدنا هدى نبيك القويم وارزقنا شفاعته يوم الدين.

حجة النبي وخطبة الوداع

من سنن الله في الكون أنه ما من شئ يتم إلا حمل في طيات اكتماله نهايته وهذا ما جعل سيدنا عمر يبكي عندما نزلت الآية ٣ من سورة المائده " حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3) " صدق الله العظيم فقال له الرسول عليه الصلاة والسلام ما يبكيك يا عمر فقال أبكاني أنا كنا في زياده من ديننا فأما إذا كمل فإنه لم يكمل شئ قط إلا نقص فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم صدقت هنا كان يعلم رسول الله صلي الله عليه وسلم بدنو أجله فلما أرسل معاذ لليمن قال يا معاذ إنك عسي ألا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري فبكي معاذ حزنا علي فراق المصطفي وبعد أن أكتمل البنيان بعد اكثر من عشرين عاما جهادا في سبيل الله قرر ان يحج حجته المبروره لتكن خير ختام لأعظم مسيره دعويه لوحدانيةالله بتاريخ الأمم قاتبة ففي يوم السبت خمسه وعشرون من ذي القعده تهيأ النبي عليه الصلاة والسلام للرحيل فترجل وادهن ولبس ازاره وردائه وقلدبدنه أي هدي وانطلق بعد الظهر حتي وصل ذا الحليفه قبل صلاة العصر فقصر العصر ركعتين وبات بذا الحليفه حتي أصبح فلما أصبح قال لأصحابه أتاني الليله أت من ربي صل في هذا الوادي المبارك وقل عمرة في حجه رواه البخاري وقبل أن يصلي الظهر أغتسل لإحرامه ثم طيبته السيده عائشه بيدها بطيب فيه مسك وضعته علي بدنه

الشريفه ورأسه حتي كان يلمع الطيب في مفارق الشعر واللحية الشريفه ثم تركه ولم يغسله ثم لبس إزاره وردائه ثم صلي الظهر ركعتين قصرا ثم أهل بالحج والعمره في مصلاه وقرن بينهما ثم خرج وركب ناقته القصواء وأهل وهو بالبيداء متوجها صوب مكه فلما قرب من مكه بات بذي طوي ومعه حشد من الصحابه وعامة المسلمين ثم دخل مكه بعد أن صلي الفجر وأغتسل من صباح يوم الأحد الرابع من ذي الحجه سنة عشره هجرية وبذلك يكون قضي بالطريق من المدينة لمكة ثمان ليال فلما دخل المسجد الحرام طاف بالبيت طواف القدوم وسعي بين الصفا والمروة ولم يحل لأنه كان قارنا ساق معه الهدي فنزل بأعلي مكة عند الحجون وأقام هناك وأمر من لم يكن معه هدي من أصحابه أن يجعلوا إحرامهم عمره فيطوفوا بالبيت ويسعوا بين الصفا والمروة ثم يحلوا حلالا تاما فترددوا فقال لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معي الهدي لأحللت فحل من لم يكن معه هدي وسمعوا وأطاعوا وفي اليوم الثامن من ذي الحجة المعروف بيوم الترويه توجه إلي مني فصلي بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلا حتي طلعت الشمس فتوجه لعرفه فوجد القبه ضربت له بنمره مكانها الآن مسجد نمره بعرفه فنزل بها حتي إذا زالت الشمس ركب القصواء فأتي بطن الوادي وقد اجتمع حوله حوالي مائة أربعة وأربعون ألفا من المسلمين فقام خطيبا وألقي هذه الخطبة أيها الناس اسمعوا قولي فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا (انظر سيرة بن هشام)

إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا كل شئ من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعه وإن أول دم أضع من دمائنا دم ربيعه بن الحارث وكان مسترضعا في بني سعد فقتلته هزيل وربا الجاهلية

موضوع وأول ربا أضع من ربانا ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ولقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن إعتصمتم به كتاب الله أيها الناس إنه لا نبي بعدي ولا أمة بعدكم ألا فاعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم وتحجون بيت ربكم وأطيعوا أولات أمركم تدخلوا جنة ربكم وأنتم تسئلون عني فماذا أنتم قائلون؟

قالوانشهد انك قد بلغت وأديت ونصحت فأشار بالسبابه يرفعها للسماء ثم يوجهها للناس اللهم اشهد ثلاث مرات وبعد أن فرغ من خطبته نزل عليه قوله تعالي اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا سورة المائده الأيه ٣ نقف عند خطبة الوداع ونستخلص التالي

١ بدأ النبي عليه الصلاة والسلام بالتأكيد علي حرمة الدماء لما لها من شأن عظيم في الدنيا والآخرة ولزوال الكعبة حجرا حجرا أهون عند الله من إراقة دم مسلم

٢ وفي الدماء أيضا بدأ بوضعها أي التسامح فيها مع وليها حتي يضع حدا لدائرة الثأر الملعونه حفاظا علي الدماء

٣ أكد علي حرمة المال بعد الدماء مباشرة

فلا يحل لمسلم أن يأكل مال أخيه إلا برضى منه

٤ أكد علي حرمة الربا ورغم إنه لعمه نصيب بدأ به ووضعه وله رأس ماله فقط

٥ بعد ذلك عرج علي قضيه غايه في الأهميه وهي النساء وحث علي الإحسان لهن وإنهن لا يحللن لنا إلا بكلمة الله أي الزواج علي سنة الله ورسوله وبين ما لهن وما عليهن

٦ أكد علي التمسك بكتاب الله وانه من تمسك به مع سنة رسول الله لن يضل

٧ أكد علي أانه خاتم الأنبياء وأمته خاتمة الأمم وحثنا علي توحيد الله وترك الجاهلية عن طريق الإقرار بقواعد الإسلام الخمس من شهادة ، وصلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، ثم اشهدهم علي ذلك وأشهد الله عليهم

تلك عبر مستقاه من أعظم خطبة شهدها التاريخ لإنه صلي الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم فبخطبة واحده وكلمات قليلة في عددها كبيرة في معناها بين لنا أمور دنيانا وأمور آخرتنا

تابع حجة الوداع

بعد أن استعرضنا خطبة المصطفي محمد صلي الله عليه وسلم التي حوت جوامع الكلم بعرفه أذن سيدنا بلال بعدها لصلاة الظهر فصلي الرسول عليه الصلاة والسلام بالناس الظهر ثم العصر ثم ركب ناقته حتي أتي الموقف فجعل بطن ناقته القصواء إلي الصخرات أسفل جبل الرحمه بعرفه وجعل المشاة بين يديه واستقبل القبله فلم يزل واقفا حتي غربت الشمس ثم أردف أسامه خلفه وتحرك بالناقه حتي أتي المزدلفه فصلي بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين ولم يسبح بينهما بشئ ثم إضجع حتي طلع الفجر فصلي الفجر بأذان وإقامه ثم ركب ناقته حتي أتي المشعر الحرام فاستقبل القبله فدعا وكبر وهلل حتي أسفر جدا

ثم تحرك من مزدلفة إلي مني قبل طلوع الشمس وأردف خلفه الفضل بن العباس حتي أتي بطن وادي محسر فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطي التي تؤدي إلي جمرة العقبة الكبري فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاه يرميها

ثم انصرف إلي المنحر فنحر الهدي ثلاثة وستين بدنه بيده الشريفه ثم أعطي عليا فنحر ما تبقي وهي سبع وثلاثون بدنه تمام المئه واشركه بهديه ثم أمر من كل بدنه بقطعة فجعلت بقدر كبير فطبخت وأكلا من لحمها وشربا من مرقها

ثم ركب رسول الله صلي الله عليه وسلم فأفاض إلي بيت الله الكعبه فصلي بمكة الظهر فأتي علي بني المطلب يسقون الناس من زمزم فالسقاية لهم من قبل البعثة فقال رسول الله عليه الصلاة

والسلام انزعوا بني عبد المطلب فلولا أن يغلبكم الناس علي سقايتكم لنزعت معكم فناولوه دلوا فشرب منه (رواه مسلم)

وخطب النبي عليه الصلاة والسلام يوم النحر العاشر من ذي الحجه الضحي وهو علي بغلة شهباء والناس بين قائم وجالس وقال إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض

السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعده وذو الحجه والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان وقال أي شهر هذا؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتي ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذا الحجه؟ قلنا بلي قال أي بلد هذا قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتي ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليست البلده قلنا بلي قال فأي يوم هذا ؟ قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتي ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال اليس يوم النحر؟ قلنا بلي

قال فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فرب مبلغ أوعي من سامع رواه البخاري

وقال ألا لا يجني جان علي نفسه ألا لا يجني جان علي ولده ولا مولود علي والده إلا إن الشيطان قد يئس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا ولكن ستكون له طاعه فيما تحتقرون من أعمالكم فسيرضي به

رواه الترمذي

وأقام أيام التشريق بمني يؤدي المناسك ويعلم الناس قائلا أيها الناس خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا

وفي يوم النفرة الثانية الثالث عشر من ذي الحجة نفر النبي عليه الصلاة والسلام من مني فنزل بخيف بني كنانه بالأبطح واقام هناك بقية يومه وليلته وصلي هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم رقد ثم ركب الي البيت فطاف به طواف الوداع وامر الناس بذلك لاثم حث الركاب الي المدينه بعد ان انهي حجته المبروره وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي اله وصحبه وسلم.

معجزة وفاة النبي

لم يشهد التاريخ معجزة لإنسان بمولده ولا معجزة بمماته مثلما شهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فإرهاصات ومعجزات مولده معروفه للجميع أما المعجزة الأكبر - برأيي المتواضع - هو إنتقاله صلي الله عليه وسلم للرفيق الأعلي فعندما تفقد أحدا غالي علي قلبك فإنك تحزن عليه يوما أو اثنين أو شهرا أو شهرين أو عام أو عامين ثم يسير الأمر عاديا وهكذا الأمر مع كل البشر سواء ناس عاديين أو ملوك أو زعماء إلا رسول الله محمد فبعد أكثر من أربعة عشرة قرنا

ونيف إذا ذكرنا وفاة الحبيب أصاب القلب وجيب والعين تدمع والقلب يخشع طبعا نتكلم عن كل من آمن به وصدق برسالته

ولقد فطن الصحابة لهذه النقطة المهمة فكان عندما يموت لأحدهم ابن او أب أو زوج أو قريب يقولون له أذكر مصابك برسول الله عليه الصلاة والسلام

فبأبي هو وأمي جعل الله ميلاده معجزة ووفاته معجزة

لنا قرب تجل النبي عليه الصلاة والسلام اعتكف في السنة العاشرة بآخر رمضان له عشرين يوما وكان كل عام يعتكف عشرة أيام فقط وبهذا العام تدارس معه جبريل القرآن مرتين

وفي أوائل شهر صفر سنة١١ هجرية خرج صلي الله عليه وسلم إلي شهداء أحد فدعا لهم مودعا ثم صعد المنبر فقال إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلي حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح

خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها (متفق عليه)

وخرج بليلة أخري للبقيع فاستغفر لهم وقال السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه بما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها والآخرة شر من الأولي وإنا بكم لاحقون

وفي يوم الثامن والعشرين من صفر وكان يوم الإثنين ١١ هجريه شهد رسول الله عليه الصلاة والسلام جنازة في البقيع وعندما رجع بالطريق أصابه وجع برأسه وزادت عليه الحمي وثقل برسول الله عليه الصلاة والسلام المرض فجعل يسأل أزواجه أين أنا غدا أين أنا غدا فأذن له أن يكون حيث يريد فانتقل لبيت عائشة يمشي متوكئا علي الفضل بن عباس وعلي بن أبي طالب وقدماه تخط علي الأرض وقضي عندها آخر أسبوع بحياته

ويوم الأربعاء اشتد به الوجع وارتفعت عليه الحمي بشده فقال إهريقوا علي سبع قرب من الماء من آبار شتي حتي أخرج للناس فأعهد إليهم فأقعدوه بمخضب أي إناء كبير وصبوا عليه الماء حتي قال حسبكم

وعند ئذ شعر بخفه فدخل المسجد وجلس علي المنبر وقال أيها الناس إليَّ فقال لعنة الله علي اليهود والنصاري إتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال لا تتخذوا قبري وثنا يعبد (البخاري)

وقال من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه ثم قام رجل وقال لي عندك ثلاثة دراهم فقال إعطه يا فضل ثم قال أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي

وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فأقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال إن عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده ، هنا بكي أبو بكر وقال فديناك بأبائنا وأمهاتنا يا رسول الله فتعجب الناس من رد أبي بكر

فعقب رسول الله صلي الله عليه وسلم قائلا : إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبوبكر ولو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام ومودته لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر

وكان النبي عليه الصلاة والسلام مع ما به من شدة المرض كان يصلي بالناس حتي يوم الخميس صلي حتي صلاة المغرب وعند العشاء زاد عليه المرض فلم يستطع الخروج للمسجد ووضعوا له الماء بالمخضب لكنه لم يستطع فقال مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة ولكن أبوبكر رجلا أسيفا أي رقيق القلب

فقال إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس

(رواه البخارى)

ويوم الأحد وجد رسول الله صلي الله عليه وسلم في نفسه خفه فخرج بين رجلين لصلاة الظهر وأبوبكر يصلي بالناس فلما رأه ابوبكر أراد ان يتأخر فاومأ إليه بألا يتأخر وقال أجلساني إلي جنبه وجلس علي يساره

وقبل يوم الوفاه أعتق غلمانه وكان عنده سبعة دنانير فقال تصدقوا بها

وبفجر يوم الوفاه بينما الرسول بحجرة عائشه فكشف الستر ورأي الناس تصلي فتبسم وأراد أبو بكر أن ينكص حتي يصلي الرسول صلي الله عليه وسلم فأشار إليه أن أكمل ثم دخل الحجرة وأرخي الستر

ولما دخل الضحي يوم الإثنين دعا فاطمة فقال لها شئ فبكت ثم سارها بشئ فضحكت فسألناها فقالت فيما بعد قال لي أني سأقبض اليوم فبكيت ثم قال لي أنك أول أهل بيتي لحوقا بي فضحكت

ولما رأت فاطمة أباها بكرب شديد قالت واكرب ابتاه فقال لها لا كرب علي أبيكي بعد اليوم يا ابنتي ودعا الحسن والحسين فقبلهما وأوصي بهما خيرا

وبدأ الوجع يشتد عليه وهو بحجر عائشة وقال يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت إنقطاع أبهري من ذلك السم (البخاري) وأوصي الناس بالصلاة وقال الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم

وبدأ يحتضر بأبي هو وأمي تقول عائشة

إن من نعم الله علي أن رسول الله صلي الله عليه وسلم توفي ببيتي وبين سحري ونحري وأن الله جمع بين ريقي وريقه قبل موته عندما دخل عبد الرحمن بن أبي بكر وبيده السواك فأشار إليه فأخذته وأعطيته له فوضعه بفمه فاشتد عليه فأخذته ولينته له وأعطيته إياه فوضعه بفمه وكانت عنده ركوه من ماء فكان يضع يده فيها ويمسح وجهه ويقول لا إله الا الله إن للموت سكرات

ثم وضع يده جانبا وتحركت شفتاه فأصغيت وهو يقول مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين اللهم إغفرلي وارحمني والحقني بالرفيق الأعلي اللهم الرفيق الأعلي ومالت يده الشريفه ولحق بالرفيق الأعلي فإنا لله وإنا إليه راجعون نشهد يا رسول الله أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمه فما من سوء إلا حذرتنا منه وما من خير إلا وجهتنا إليه ونحن كالفراشات تقترب من النار فتذبنا عنها كان الإنتقال إلي الرفيق الأعلي يوم الإثنين ١٢ ربيع الاول سنة ١١ هجرية

وعندها كان عمر رسولنا الأنور عليه الصلاة والسلام ثلاث وستون سنة وأربعة أيام ولما تسرب الخبر للصحابه أظلم من المدينة كل شئ وأصبح الناس في ذهول من عظم الصدمه فهذا عمر يمسك سيفه ويقول رسول الله لم يمت من يقول هذا قطعت عنقه لكن ذهب إلي ربه كما ذهب موسي وعاد بعد أربعين ليلة

وهذه فاطمة تنعي أباها يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه إلي جبريل ننعاه

وهنا سارع أبو بكر فكشف عن وجهه الشريف وهو يبكي ويقول طبت حيا وطبت ميتا يا رسول الله وأخذ يقبله ويقول بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين أما الموته الأولي التي كتبت عليك فقد متها ثم خرج إلي الناس وقال إجلس يا عمر فأبي عمر فقال أيها الناس من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلي قوله تعالي " وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم علي أعقابكم ومن ينقلب علي عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين " الآيه ٤٤ ال عمران

قال عمر والله لكأني أسمع هذه الآية أول مرة فلما سمعتها تيقنت بوفاة الرسول فهويت للأرض لم تتحملني قدماي وعندما أراد الصحابه أن يغسلوا رسول الله صلي الله عليه وسلم سمعوا من يقول غسلوا رسول الله في ثيابه فغسله العباس والفضل وعلي وقثم بن العباس وشقران مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم وغسلوه ثلاث مرات بماء وسدر ثم دخل الناس عشرة فعشرة يصلون علي رسول الله صلي الله عليه وسلم بدون إمام فهو سيد الأئمة

فلما اختلفوا علي مكان الدفن قال أبي بكر إني سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض فرفع أبو طلحة فراشه الذي توفي عليه فحفر تحته لحدا وورى الجسد الشريف التراب آخر ليلة الأربعاء ١٤ ربيع الاول السنة الحادية عشرة للهجرة

وبهذا أكون أتممت كتابي الثاني (المختصر المفيد في سيرة الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام) من معجزة الميلاد وحتي معجزة الإنتقال للرفيق الأعلي والكتاب الأول الذي صدر المختصر المفيد في آل بيت الحبيب ازواجه أبنائه بناته أحفاده حفيداته وفي هذين الكتابين حاولت أن أتجنب التطويل الممل أو التقصير المخل بلغه سهله وبسيطه تصل للقارئ العادي وتجنبت الألفاظ الصعبة قدر المستطاع

فالله أسأل أن ينفع بهما سواء علي صفحتي بوسائل الميديا أو عبر كتبي بالمكتبات فاللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم وارزقنا شفاعة حبيبنا محمد يوم الدنيا وارزقنا من يده الشريفه شربة من نهر الكوثر لا نظمأ بعدها أبدا

وما في هذا الكتاب من توفيق فمن الله وما فيه من تقصير فمني فالله أسأل أن يجنبنا التعمد في التقصير



وصلي الله وسلم علي سيدنا محمد وعلي آل بيته الطيبين الكرام وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

د.عبدالحليم.م.ه.م

خاتمة

بعد أن قضينا معا ما يقارب العام فى تدارس سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ونهلنا وارتوينا من هذا النبع الطيب الذى لا ينضب أبدا كان لابد لنا ان نقوم بهذه الخاتمة لاستخلاص العبر الطيبة من هذه السيرة العطرة فقد ارسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق ولقد لمسنا أخلاقه الكريمة صلى الله عليه وسلم مع أهل بيته ومع أصحابه وكيف أنه كان يستشيرهم فى أدق الأمور وما انفرد بأمر وحده قط حتى فى أمور الحرب الدقيقة وقد أثبتت التجربة إنه عليه الصلاة والسلام قائد حربى فذ وإن معظم الفشل كان يأتى بسبب عدم طاعته من قبل البعض خاصة غزوة أحد ورأينا كيف ثبت وتصرف بشجاعة وكان النصر حليفا للمسلمين

وما حدث بحنين أيضا رأينا كيف وقف بمنتهى الشجاعة ويقول أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب وكيف تجمع عليه الناس من كل حدب وصوب بعد فرارهم

ورأينا كيف كان يعد الجيوش ويأخذ بالأسباب وانه كان دائما يحارب تحت راية وجيش واضح معد جيدا وكان يتجنب عليه الصلاة والسلام العشوائية بالحروب فنعم القائد كان بأبى هو وأمى

وآدابه بالحرب تدرس بالأمم المتحدة اليوم إن كانت تريد إنصافا للبشرية أولا غير صلى الله عليه وسلم من استرا تيجية الحروب فبدلا أن كانت حروبا ذات نعرة عصبية تتميز بالظلم والسلب والنهب وتقوم لأتفه الأسباب جعلها حروب تقوم لإحقاق الحق والزود عن المظلومين والمستضعفين فى الأرض

ونـهى فيها عن قتل النساء والشيوخ والأطفال وحرق النخيل والأشجار

وعند فتح مكة قال صلى الله عليه وسلم

لا تجهزن على جريح ولا تقتلن أسيرا

ونـهى عن قتل السفراء والمعاهدين وقال عليه الصلاة والسلام من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن رائحتها توجد على مسيرة أربعين عاما فكيف من يقتلون الأبرياء من الناس مثل السياح وغيرهم ؟!!

ويعتبرون هذا جهادا !!

الإسلام علمنا أن الغاية النبيلة تقتضى وسائل أشد نبلا لإن الإسلام لم يقم أبدا على الحروب بل كل الغزوات كانت دائما رد فعل لاجتماع الكفر على محاربة دين الله وحتى الفتوحات خارج ديار الإسلام

كانت خالية من الأطماع فبمجرد إقرار أى حاكم بالإسلام كان يترك حاكما كما هو أى ليس هناك أطماع بملكه بل إعلاء توحيد الله ونصرة الإسلام

وكان يقول عليه الصلاة والسلام أغزوا بسم الله فى سبيل الله قاتلوا من كفر بالله أغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا

ولا تقتلوا وليدا

الله الله ما هذا الرقى الذى يجعلك تحافظ على حياة ومال عدوك إنه الإسلام يا ساده ورسول الإنسانية الذى أرسله الله رحمة للعالمين فها هو صلى الله عليه وسلم عندما كان يعود صبيا يهوديا يجود بأنفاسه

الأخيرة فلقنه الشهادة والصبى ينظر لأبيه فيقول له أطع أبا القاسم ثم يقول عليه الصلاة والسلام الحمد لله أن أنقذ نفسا من النار

هذا هو نبينا عليه الصلاة والسلام وهذه هى شمائله ومن يخرج ليضرب الناس لا يميز بين فاجرهم وبرهم فقد برئ منه رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام

فإسلامنا برئ من الإرهاب وهذه التهم التى تلصق به ليل نهار وإن قام بهذا الإرهاب من يدعون أنفسهم إنهم من المسلمين فلا يتحتم أن نصف إسلامنا بالإرهاب أبدا وقبل أن تحكم إقرأ أولا فالمعرفة وحدها قادرة على جلاء ظلام النفوس وضلالها فهذا حديث واضح لا لبس فيه لمعلم البشرية ينفى هذا الإرهاب عن الإسلام فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال إن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعوا إلى عصبة أو ينصر عصبة فقتل قتله جاهلية ومن خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لذى عهد عهده فليس منى ولست منه

صدق رسول الله صلي الله عليه وسلم

فالله اسأل أن يرزقنا اتباع نهج رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام وأن يجنبنا الفتن ومضلات الأمور

وهذه خاتمة لكتابى الثانى في سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وإسم الكتاب

اللؤلؤ المنثور فى سيرة سيدى الرسول

فالله أسأل أن ينفع به وأن يغفر لنا أى ذلل غير متعمد جاء به فقد اجتهدت أن اتجنب التطويل الذى يشتت القارئ أو التقصير الذى يخل بالمادة العلمية

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والشكر موصول لمشيخة الأزهر المعنية بالتدقيق والمراجعة السليمة فسيظل الأزهر دائما وأبدا معنى بحفظ هذا الدين بعد الله سبحانه وتعالى فجزاهم الله كل خير

فقد شرفونى بإجازة الكتاب الاول المختصر المفيد فى سيرة آل بيت الحبيب نشر وتوزيع دار النيل والفرات

والى الملتقى بأعمال قادمة ان شاء الله ننهل معا من نبع الإسلام الطيب.

د.عبدالحليم.م.ه.م

محتوى الكتاب